ليليان بيك

لا أحَد سِواكِ



جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت : ٢٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٣٣٧٨٦٤١٨





روايات عبير

منذ صدور هذه الروايات في العالم العربي، بعدما طالعها القراء عبر جهات الأرض الأربع، ونحن نتلقى التهاني والتشجيع ورسائل الشذى الطيبة من كل مكان.

لأن هذه الروايات بطاقات سفر ذهاباً فقط الى عالم النقاء العاطفي وصفاء الأحلام، ولأنها لمسة نسيم بالغة الرقة، ورفيقة المطالعة المفضلة لدى الملايين في العالم كله.

اربطوا حزام الأمان فالرحلة الى عالم الحب تبدأ في الصفحة التالية!

لا أحد سواك

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية

A GIRL ALONE

١ - ضيف بلا مزايا

رتبت لورين سرير الضيوف وقالت لوالدتها:
ـ لا افهم لماذا نؤجر غرفة في بيتنا، فنحن لسنا بحاجة للمال!
اجفلت السيدة بريل فارس من اعتراض ابنتها واجابتها:
ـ هذا صحيح، فنحن لسنا مضطرين لتأجير غرفة بعد ان حصلت على وظيفة معقولة وانت تعملين مدرسة. اننا بخير.
نظرت لورين الى والدتها التي صففت شعرها عند الحلاق واخفت معالم الشيب منه. لقد بدت اصغر من عمرها بسنوات، بعد ان تجملت وكست وجهها بمساحيق التجميل باعتدال. كانت لورين تتمنى لو ان والدتها تقبل حقيقة عمرها ولا تحاول ان تخفي السنين. يجب ان تقبل بواقع الأمر وتعيش كامرأة في متوسط عمرها بدلاً من الهروب من الحقيقة. كانت تبدو كأنها تقول:
ـ عليّ ان احافظ على شكلي ومظهري، فربما حظيت بزوج يؤنس وحدتي ويخلصني من حياتي كأرملة...
توفي والد لورين منذ خمس سنوات بالسكتة القلبية. حزنت والدتها كثيراً لوفاته واضطربت حياتها المستقرة. ومنذ فترة وجيزة بدأت تتقبل واقعها الجديد كأرملة. عادت تتابع حياتها بحزم وتصميم وتفاؤل.
نظرت الوالدة بريل الى ابنتها وهي ترتدي تنورة قديمة بنية اللون مع بلوزة بيضاء، وفوقها جاكيت رمادي عتيق. وقالت:
ـ لورين! الا توجد عندك ثياب ترتدينها افضل من هذه؟
نظرت الى ساعتها واكملت:

- سيحضر ضيفنا المستأجر بعد قليل. هيا رتبي نفسك قليلاً وضعي بعض مساحيق التجميل. . .

عبست لورين واجابت:

- انت تعرفين انني لا اضع مساحيق التجميل على وجهي، ولن اغير ملابسي كذلك. . .

- انت جذابة وقدك مياس متناسق، لماذا لا تبرزين معالم جمالك بدلاً من ان تخفيها تحت هذه الثياب الواسعة البالية؟ انت متزمتة، جدية وقاسية كوالدك. عليك ان تليني قليلاً. . .

رتبت زهرية الورود فوق الطاولة. لقد حولت غرفة النوم الى غرفة جلوس ايضاً. واكملت:

- يبدو انك لا ترحبين بجان . . .

- هذا صحيح فأنت تعرفين رأيي في الصحافيين.

- لكن هذا الصحافي يختلف عن غيره. انه ابن صديقتي نانسي داربي وعندما كتبت تخبرني بانتقاله الى هذه المدينة ليعمل في جريدة مسائية، عرضت عليها هذه الغرفة المغلقة في منزلنا دون استعمال منذ زمن طويل. سيستعملها لفترة قصيرة يا عزيزتي.

كانت بريل مواربة في قولها لأنها، في الحقيقة، ترحب بابن صديقتها للبقاء عندها قدر ما يرغب لحين ايجاد غرفة تناسبه. سرحت بريل بعيداً تتذكر.

- كان جان صبياً صغيراً هادئاً وقليل الكلام. ولكن في المرة الأخيرة حين التقيت نانسي، منذ سنتين تقريباً، اخبرتني انه تبدل كثيراً. . .

- هل هو رجل متزوج؟

- لا. مع ان الرجل في عمره، الخامسة والثلاثين، يفترض ان يكون قد تزوج. ان الفتيات يحمن حوله.

ضحكت ضحكة فتاة مراهقة.

فكرت لورين في نفسها. . . لو انها ليست والدتي لاعتقدت انها مراهقة تنتظر وصول جان بلهفة.

قرع الجرس وللحال رفعت بريل فارس يدها تسوي شعرها ثم نظرت الى ابنتها وقالت:

ـ لقد حضر يا لورين. افتحي له الباب وادخليه.

نزلت لورين السلالم وهي تقول في نفسها ان الصحافي يشبه دود الأرض، والصحافيين حثالة المجتمع.

فتحت الباب ورحبت به ترحيباً بارداً. نظر اليها نظرة متفحصة وهو ينتظر ان تدعوه للدخول. جال بناظريه محللاً، ومتفحصاً اياها من اخمص رجليها الى قمة رأسها حيث وقفت في الباب تسد عليه المنفذ الى داخل المنزل. فتّت اجزاءها ثم جمعها من جديد في دقائق معدودة بحكم وظيفته. تعجبت من تشريحه لها وتمنت لو تعرف رأيه فيها بعد الفحص الدقيق. . .

قالت بفتور وعدم اكتراث وهي تتحداه بعينيها وبصوت هازىء:

ـ اتبعني من فضلك يا استاذ داربي، سأريك غرفتك.

صعدت السلالم امامه وهو يتبعها مطيعاً. كان شاباً طويلاً عريض المنكبين شعره اسود فاحم. وعند مدخل الغرفة استقبلته والدتها مرحبة به ترحيباً حاراً وصافحته مبتسمة. شكرها جان بدوره.

لم تستطع لورين ان تشارك والدتها فرحتها بالضيف المستأجر. سوف لا تغير رأيها في الصحافيين لأن جان هو ابن صديقة والدتها. انها تكره هذا الصنف من البشر. معظمهم عديم الحيلة ولا يختلفون عن بعضهم، وهم لا يؤمنون بالقيم والمبادىء والاخلاق ولا يكترثون لشعور الآخرين واحزانهم. وهذا الصحافي، جان، بالرغم من وسامته ومظهره وكبريائه لن يكون مختلفاً عنهم. هذا التفكير بجان يعطيها مبرراً لكراهيته وعدم الثقة به. انه صحافي عابث. . . تذكرت نظراته الفاحصة لها قبل ان يدخل المنزل. نزلت غاضبة الى غرفة السفرة لترتب طاولة الطعام وهي تقول في نفسها. . . انا لورين فارس مدرسة اللغة الانكليزية في مدرسة ولكي للبنات، لن اكون حجرة صغيرة في طريق هذا الصحافي يزيلها من دربه بسهولة فائقة.

فرشت شرشف الطاولة وسمعت والدتها تناديه:

ـ جان. عليك ان تتناول عشاءك معنا هذه الليلة. ويمكنك بعد اليوم ان تتناول وجبات طعامك في غرفتك لو رغبت.

قالت لورين في نفسها، الحمد لله. ثم رتبت ثلاثة مقاعد حول الطاولة وصنعت السلاطة وقطعت اللحمة الباردة. حضرت بريل لمساعدتها

وقالت:

- انه شاب لطيف يا عزيزتي.

عبست لورين لأن والدتها دائماً تفترض ان جميع الناس طيبون. اكملت والدتها:

- اتمنى ان تتعايشي معه بسهولة. اعملي جهدك من اجلي يا لورين.

هزت لورين رأسها موافقة. كانت تحب والدتها كثيراً ولكنها حتماً لن تبذل جهدها لارضائه، حتى ولا من اجل والدتها الحنونة.

- لورين اذهبي الى غرفتك وضعي بودرة على وجهك. تبدين شاحبة.

هزت لورين رأسها موافقة وارتقت السلالم الى غرفتها واغلقت الباب عليها.

رتبت شعرها وعقدته بشريطة الى الوراء كذيل حصان، ثم وضعت طبقة رقيقة من البودرة على وجهها ونزلت الى غرفة الطعام.

كان المستأجر يقف ويداه في جيوبه وقد بدا عليه الانزعاج. رفع حاجبيه يحييها فردت له تحيته بنظرة جافة وقالت:

- يمكنك ان ترتاح في غرفة الجلوس يا استاذ داربي.

- انني مرتاح هنا يا آنسة فارس. لقد امضيت رحلة طويلة وانا جالس في القطار.

- هل حضرت من لندن يا استاذ داربي؟

- نعم يا آنسة فارس.

هرعت بريل تحمل ابريق الحليب ووضعته على الطاولة وقالت:

- ارفعا الكلفة بينكما. هو جان وأنت لورين. لا لزوم لاستاذ داربي وآنسة فارس...

انحني جان متهكماً الى لورين بشكل مسرحي، ونظر اليها نظرة مرحة. ادارت لورين على الفور ظهرها له وقالت بعصبية:

- انا لا ارفع الكلفة الا مع اصحابي.

اعتذرت والدتها بالنيابة عنها وقالت:

- لا تهتم لكلامها يا جان...

صنعت لورين الشاي وحملته الى غرفة الطعام.

قالت بريل:

ـ اجلس يا جان مقابل لورين. لورين، صبّي الشاي لجان.

تحاشت لورين النظر الى جان وهم يتناولون الطعام، ولكن بعد العشاء وهي تحتسي الشاي، التقت عيناها بعينيه. كان قاسي الوجه والتعابير واخرج سيكارة فأشعلها ونفخ دخانها في وجه لورين دون اكتراث، بينما عيناه تتفحصانها وتحللانها. حاولت لورين ان تخفي تعابير وجهها خلف قناع من القساوة لتمنعه من اختراق دخيلتها.

بدأت بريل تتكلم معه عن وظيفته. نظرت اليها لورين وقالت بحدة:

ـ علينا ان نراقب كلامنا من الآن فصاعداً.

رفع جان حاجبيه متعجباً. واكملت:

ـ لدينا صحافي في المنزل. اننا تحت المراقبة. كأن هناك آلة تسجيل مخبأة في زهرية الورود او تحت السجادة. هناك جاسوس يعيش معنا في البيت.

سارعت الدماء الغاضبة في جريانها، ولمعت عينا جان الرماديتان كأن انفجاراً صغيراً اصابها ولكنه حافظ على رباطة جأشه واخفى امتعاضه، رغم ان انفعالاته بانت جلية في عينيه. وبعد ان عاد اليه الهدوء قال:

ـ الآنسة فارس تعرف العديد من الصحافيين كما يبدو.

قال بريل:

ـ لا، لورين لا تعرف صحافيين. أليس كذلك؟

ـ نعم. انا لا اعرف احداً منهم ولله الحمد ولكن لي اصدقاء يعرفونهم ويعرفون اخبارهم. انهم يملأون صحفهم بالزبالة واللغة الركيكة. (ونظرت اليه مباشرة) انا اقضي معظم وقتي يا استاذ داربي احاول اصلاح الاخطاء التي تتركها الصحافة على اللغة الانكليزية.

نظر اليها جان نظرة باردة مثلجة واكملت بحماس:

ـ زبالة الصحافة هي ما يمتصه ويبتلعه الناس يومياً مع فطورهم. انها تأكل في جذور اللغة كما يفعل السوس في الأسنان الصحيحة.

قالت بريل مصعوقة مما تسمع:

ـ لورين؟ كيف تقولين ذلك؟ (ونظرت الى جان تطلب منه ان يسامحها) لا تأخذ بالك مما تقول. انها مدرسة، تدرس اللغة الانكليزية في مدرسة للبنات في المدينة. بيني وبينك... انها مدرسة رجعية تقليدية وتحتاج لدماء جديدة في الادارة. حان الوقت لتتقاعد الرئيسة العجوز، انها تؤثر كثيراً

على المعلمين والمعلمات الذين يعملون تحت ادارتها.

قال جان:

- اعتقد ان الدم الجديد ضروري في الادارة وفي جهاز السلك التعليمي ايضاً. طريقتك في تعليم اللغة الانكليزية متزمتة، وانت شديدة الحساسية في عملك. يجب ان اذكر لك ان غالبية الناس يلذ لها قراءة الصحافة، او كما تسمينها الزبالة.

ابتسم وهو ينفض سيكارته في المنفضة الموضوعة امامه.

يطيب لجان ان يزعجها كلما التقى بها. وأكمل حديثه قائلاً:

- لا تحكمي على الآخرين بترفع. فنحن الصحافيين نغذي العالم بأخبارنا ولا نكتب لطبقة معينة من الناس، طبقة المتعلمين والمترفعين امثالك. اذا نظرت حولك يا آنسة فارس بتمعن، تجدين ان غالبية الناس يتمتعون بذكاء عادي ويحتاجون لقراءة الجرائد ليعرفوا ما يدور حولهم من احداث بلغة بسيطة سهلة وعادية.

- من الواضح اننا لا نتكلم لغة واحدة يا سيد داربي...

احمر وجهها، وقاطعها وهو يتجاهل انزعاجها وانفعالها:

- انت تهتمين لما يحدث للغة. تخافين عليها من التغيير الذي تمر به. تعتقدين انك مدرسة للغة وعليك المحافظة عليها. ولكنني لا اقرك على تصرفاتك ولست مطمئناً لردة فعلك. لا يمكننا ان نحافظ الى ما لا نهاية على اللغة كما كتب بها اجدادنا في الماضي. علينا ان نطورها لتلائم حاجتنا الحاضرة.

لم تفهم لورين ما قصد من كلامه. لقد لسعها انتقاده الجارح ولم تعد تحتمل المزيد، فبدأت تتلهى بتنظيف الصحون بعد ان وجدت ان المحادثة بينهما اصبحت شائكة. وقالت بعصبية:

- انا اعتبر ان الصحافيين عمال لا مهارة لديهم ويتقاضون اعلى الأجور. وظيفتهم توازي وظيفة كنّاس الطرقات بل تقل عنها. ان كناس الطريق يجمع الأوساخ بينما الصحافي ينشرها.

عم صمت رهيب بينهما. هربت لورين الى المطبخ وهي تشعر بأن كلامها الجارح قد آلمها كما آلم جان. كانت تحس ان ثورتها زائفة وكذلك انتقادها.

يوم الأحد، عادة، تستفيق لورين ووالدتها متأخرتين. هذا الأحد، ولوجود ضيف بيتهما، كان عليهما ان تستيقظا باكراً. طهت لورين فطور الصباح وحملت لجان فطوره الى غرفته. قرعت الباب وانتظرت ان يدعوها للدخول. كان جان قد استيقظ وارتدى ثيابه وانتهى من ترتيب نفسه. ابتسم لها وهي تضع صينية الفطور على الطاولة وقبل ان تخرج قالت كمن حفظ درساً:

- تقول والدتي انك تستطيع الحصول على كل رغباتك فلا تتردد في طلب ما تحتاج اليه.

نظر اليها نظرة غريبة وقال:

- افهم. شكراً. (ثم اكمل ساخراً) هل انت التي ستقومين على تأمين رغباتي وحاجياتي... فانا احتاج الى سكرتيرة وباحثة، وشخص يرد على الهاتف ويسجل لي المكالمات عدا عن الأعمال المنزلية التي تقوم بها الزوجة عادة، كتركيب الأزرار المقطوعة وغسل ثيابي وكيها و... اشياء اخرى. (واضاف يستفزها) كأنني اطلب زوجة. ولا يمكن لشخص يتمتع بكامل قواه العقلية ان يتقدم بطلب زوجة في هذه الأيام.

وجدت لورين نفسها تبتسم ابتسامة مفتعلة وتعتبر كلامه مزاحاً. لكنه تجهم فجأة وقست تعابير وجهه وهو يقول:

- شكراً لاحضار الفطور.

خرجت من الغرفة بسرعة كأنها تلميذه طردت من الصف.

بعد الفطور، جلست تحضر ملاحظاتها واوراقها من اجل الفصل الدراسي الجديد. مرت بريل من قربها وسألتها:

- متى سيحضر هوغ؟
- في الثالثة كالعادة.
- وهل ستخرجان؟
- لا اعتقد ذلك. انني اشعر ببعض الكسل والتعب واحتاج الى الراحة لاستقبال الفصل الدراسي الجديد. انني اكره اول يوم في المدرسة في فصل الخريف لكثرة ما يدور من جدل حول التفاصيل والترتيبات والتقسيم.

صعدت لورين الى غرفتها ورتبت نفسها لاستقبال هوغ. رتبت شعرها وعقصته الى الخلف ثم ارتدت تنورة نظيفة مع بلوزة بيضاء ووضعت قليلاً

من احمر الشفاه ثم نظرت الى نفسها في المرآة، فلم ترق لها صورتها. كان ينقصها الحيوية والنشاط فوجهها لا حياة فيه وروحها كئيبة. ان التزمت باد في تعابير وجهها وكل مساحيق التجميل لا تفيد في اراحة بالها. ربما حضور هوغ لزيارتها سيغير من قساوة ملامحها ويجعل عينيها تشعان والبشر يطفو على وجنتيها، ومعنوياتها ترتفع...

صديقها هوغ اشقر الشعر بشوش الوجه ترتاح اليه، لا ينفعل لشيء. وهي لا تحس بأي انفعال معه حتى وهو يعانقها. كان جان قد دخل المطبخ واخذ يتحدث مع والدتها دون كلفة.

قالت لورين تخاطب والدتها:

- سنجلس انا وهوغ في الحديقة.

قالت بريل تخاطب جان بمرح:

- هوغ صديق لورين ويدرس معها في نفس المدرسة.

- وهل يدرس اللغة الانكليزية ايضاً ويشاطرك كره الصحافيين امثالي؟

- لا. انه يدرس مادة الكيمياء.

- ربما لا اكون تافهاً بنظره كما هي الحال بالنسبة اليك... مهنة التعليم مهنة محترمة ولكنها تسبب الضجر وهي غير مثيرة. مهنة مملة ورتيبة وتقتل روح التوثب. وفي النهاية يصبح المعلم كالمهنة تماماً... مملاً ومحترماً.

ساء لورين ان يهاجمها جان بهذا الشكل. بدأ يستفزها بكلامه وتعليقاته ووجدت نفسها تدافع قائلة:

- من الأفضل يا سيد داربي ان اصبح على هذا الحال من ان اثير العواطف الكاذبة كما يفعل امثالك الصحافيون. ثم ماذا تعرف انت عن مهنة التعليم؟

- اعرف الكثير. لقد قابلت اثناء عملي العديد من المعلمين وانا اخاطب معلمة الآن...

كان همه ان يثير غضبها ويزعجها، ولقد نجح. حاولت لورين ان تخفي دموعها ولكن بعض القطرات نزلت رغماً عنها.

قالت بريل:

- اهدئي يا لورين... انه يثير غضبك لتفقدي رباطة جأشك...

ابتسم جان ابتسامة عريضة مجنونة ثم تركهما وصعد الى غرفته.

قالت بريل توبخ لورين:
- انه ضيفنا. لا يمكنك ان تكلميه بهذه الطريقة الخالية من اللياقة. انه شاب لطيف.
- انه ليس ضيفاً. انه مستأجر عندنا وهو كثير التدخل وله عينان نفاذتان ومتفحصتان ويسخر من كل شيء هنا.
- ربما يا عزيزتي، ولكن عليك ان تعتادي وجوده وطريقته في المزاح. عليك ان تتعايشي معه بسلام.
هزت لورين كتفيها دون اكتراث وخرجت لتضع الكراسي في الحديقة. وحين وصل هوغ كانت تستريح في كرسيها متكاسلة. انحنى بلطف وقبلها على خدها قبلة خفيفة وقال:
- اهلاً لورين. لقد التقيت المستأجر عندكم وانا في طريقي الى البيت. كان في طريقه ليضع رسالة في البريد. انه شاب لطيف ومهذب ولقد تحدثنا سوية.
- عما دار الحديث بينكما؟
- عدة مواضيع. لقد تشعب كثيراً في دقائق قليلة.
- انا لا احبه.
-لا ارى سبباً لهذه الكراهية. انه ذكي ويتمتع بمعرفة واسعة، صحافي...
- اعرف. ان الصحافيين كثيرو الاعتداد بالنفس يتمتعون بالحيلة. انهم كالحيوانات التي تقتات على الزبالة ويبحثون دائماً عن المشاكل، يحفرون القبور وينبشون الأخبار المدفونة ويفرطونها على الناس بشكل سافر.
حاول هوغ ان يوقفها عن استرسالها في الحديث بحركاته. التفتت خلفها لتجد جان بالقرب منها. شعرت بالذنب وبدأ قلبها يسرع في ضرباته. كان يحمل لها كيس الصوف الذي تحيكه وقد خلا وجهه من اي تعبير.
- والدتك ترسل لك شغل الصوف هذا.
- شكراً.
ارتبكت كثيراً ولم تفهم سبب هذا الارتباك كله. كلما التقته يهتز كيانها. وقف هوغ وطلب من جان ان يشاركهما جلستهما قائلاً:

- سأجلب كرسياً آخر لي.
- شكراً يا هوغ، فأنا لا اريد ان ازعجكما في جلستكما الهادئة.
كان جان عابساً وسافراً في كلامه وهو ينظر الى لورين ويبتعد عنهما. وفي المساء صعدت لورين الى غرفتها لتنام. وجدت والدتها تتحدث مع جان في الممر المؤدي الى غرف النوم.
- كنت تعمل في فليت ستريت؟ (أهم شارع للمال والاقتصاد في لندن).
- نعم. كنت مساعد تحرير في الجريدة الرسمية.
- هنا وظيفتك تعتبر ترقية لك!
- نعم. انها اكثر راحة واقل اجهاداً من عملي في فليت ستريت. وانا الآن مدير تحرير الاخبار في الجريدة المسائية في هذه المدينة الكبيرة.
قالت لورين تشاركهما الحديث:
- وكيف تتواضع لتعمل هنا وتترك فليت ستريت؟
احمر وجه جان غضباً من تعليقها وقال:
- لا. ربما لا تصدقين يا آنسة فارس، ولكنني لم احتمل الصراع اليومي... والتقدم البطيء.
نظر جان اليها نظرة قاسية جعلت جسمها يهتز. تذكرت معطفها المنزلي الشفاف وتحته ثوب نومها الذي يظهر اكثر مما يخفي... ركضت مسرعة الى الحمام وقد اكتسى وجهها بحمرة الخجل. وحين خرجت من الحمام كانا لا يزالان يتحدثان. القت تحية المساء عليهما واجابتها والدتها على تحيتها، ولكن جان لم يأبه بها...
لم يكن من السهل على لورين العودة الى العمل بعد عطلة الصيف، ثم ان وجود المستأجر الشاب الذي يعيش معها تحت سقف واحد شغل بالها اكثر مما توقعت. حاولت ان تطرده من تفكيرها عبثاً. اول ما وصلت الى المدرسة التقت صديقتها آن التي بادرتها بالسؤال:
- سمعت ان لديكم مستأجراً شاباً.
قالت لورين ساخرة:
- انه صنف ممتاز يا آن.
قال هوغ معلقاً:

ـ لا اعرف لماذا تسخر لورين منه. لقد التقيته وتحدثت اليه ولا اجد ما يعيبه.

قالت لورين:

ـ ولكنني واثقة من كراهيتي له. انه لا يحتمل. وقح، ومعتد كثيراً بنفسه.

قالت آن:

ـ بدأت احترق شوقاً لمقابلته. ربما اكون كبيرة في السن ولكن في هذه الأيام لم يعد فارق السن شيئاً يعيق العلاقة بين اثنين، ومع قليل من الجراحة التجميلية فسوف ابدو اصغر منه...

ضحك الجميع ثم علق هوغ قائلاً:

ـ اعتقد ان لورين هي التي تثيره وتزعجه.

قالت لورين:

ـ شكراً يا هوغ.

قالت آن:

ـ عندما التقي الشاب سأتذكر ان اتملقه واداهنه. ولكنه لن يكون منافساً على قلب لورين يا هوغ.

قال هوغ:

ـ هذا صحيح، ولكن الشاب مرح وتسر عشرته وجلسته.

بدأت لورين تمتعض وتحاول الاعتراض، ولكن آن بادرتها قائلة:

ـ اهدئي يا لورين.

قال هوغ:

ـ انه ليس من النوع الذي يستهوي لورين وهي ايضاً لا تستهويه...

انزعجت لورين لتصريح هوغ واعتبرته تجريحاً، وقالت بعصبية:

ـ لماذا؟ ما خطبي؟

قال هوغ:

ـ لا شيء... بالنسبة الي ولكن... جان يحتاج الى فتاة اكثر ليونة ولباقة واكثر...

قالت لورين:

- مرونة.

هز هوغ رأسه موافقاً، وبدأت لورين تتأفف وهي تهرول الى صفها محتمي بتلاميذها. وهكذا فعل كل من هوغ وآن.

بقيت لورين تعمل في صفوفها طوال النهار وكان وصف هوغ دائماً في خاطرها ولم تنسه. ألم تقل عنها والدتها «انت فتاة قاسية ومتزمتة؟» هذا واضح الآن، هوغ ايضاً يوافق والدتها الرأي. جلست في المساء امام مرآتها تتزين ولأول مرة في حياتها رغبت في تغيير شكلها تماماً. لقد اصبحت في السادسة والعشرين من عمرها ولكن الذي يراها يضيف سنوات اخرى على عمرها. ربطت شعرها الى الوراء وشرعت تضع مساحيق التجميل على وجهها. درست تعابير وجهها بالتفصيل. حاجباها مقوسان وانفها وفمها مصقولان، وعيناها الزرقاوان حادتان ونظرتها موحشة.

نظرت الى ثيابها بعد ان انتهت من التجميل فوجدت انها اصبحت لا تلائم شكلها الجديد الذي بدأت تخطط له. قررت: «غداً ساشتري ثياباً جديدة بعد دوام المدرسة. وتساءلت في نفسها... هل وصف هوغ لها هو الذي جعلها تتخذ هذا القرار بالتجديد في شكلها ولباسها، ام وجود هذا الرجل الذي يعيش معها في البيت؟

عادت والدتها باكراً من موعدها. قالت مستغربة ما ترى:

- لورين يا عزيزتي. كم انت جميلة؟ هل رآك جان؟ أين هو؟

- في الخارج.

- مؤسف. كنت اريده ان يراك على هذه الحال. كان يقول لي البارحة...

- سأمسح المساحيق بسرعة...

- بل اتركيها لحين حضوره.

ولكن لورين لم تستمع الى قول والدتها بل اسرعت الى الحمام تغسل وجهها من مساحيق التجميل قبل حضور جان.

حضر جان بعد ان آوت لورين الى فراشها. سمعت والدتها تسأله عن عمله الجديد في الجريدة المسائية.

- عملي ممتاز ومشوق، وانا كلي حماس ونشاط.

وفي اليوم التالي وقبل حضور هوغ تجملت لورين ولبست بنطلوناً ازرق جديداً مع بلوزة زهرية دون اكمام. كانت واثقة بأنها قد غيرت من شكلها

كلياً. . . حين نظر هوغ اليها بسرعة كأنه يراها للمرة الأولى وقال:
- ماذا فعلت بنفسك يا لورين؟ انت مختلفة كلياً.
- لم أفعل شيئاً.
ابتعدت هاربة من نظراته بعد ان شعرت ببعض الخجل والارتباك. لقد لفتت نظره اليها وتمنت لو لم تفعل. . . هي حقاً لا ترغب في لفت انتباه هوغ، بل غيره . . . حملت شغل الصوف بيديها وجلست تحيك بينما قال هوغ:
- هل اخبرتك انني التقيت جان البارحة في المدينة بعد الدوام المدرسي، وتناولت الشاي برفقته واخبرني ان لديه راديو ترانزيستور يود بيعه.
- جان في الخارج. انه يمضي امسياته خارج البيت وانا لم اره منذ عدة ايام.
- لا بأس. اذا حضر قبل خروجي سأتفقد الراديو. . . انني راغب في شراء راديو منذ فترة وهو يطلب ثمناً معقولاً.
صنعت لورين الشاي لهما، ثم بعد ان تناولاه اكملت شغل الصوف. امسياتها مع هوغ تسير على وتيرة واحدة. كلها رتابة وملل ولا نفع فيها. لم تكن من قبل تشعر بفتور علاقتهما. نظر هوغ اليها وتمنت لورين لو لم يفعل.
سمع هوغ الباب الخارجي يفتح ويغلق. رفع رأسه ورحب بالقادم قائلاً:
- اهلاً يا جان. تسرني رؤيتك. تفضل شاركنا جلستنا.
ووقف هوغ احتراماً. كان جان يقف في الباب بينما بقيت لورين تحيك الصوف دون ان ترفع رأسها.
كانت حانقة لأن هوغ دعاه دون استئذانها.
قال جان:
- لا اريد ان ازعجكما.
كان صوته متهكماً ساخراً.
قال هوغ:
- لورين؟ هل هناك مزيد من الشاي؟
وضعت لورين شغل الصوف جانباً وذهبت لتجلب فنجاناً للشاي.

وقالت ببرودة متعمدة:

- تفضل يا سيد داربي، اجلس.

- كم انت لطيفة. كان لئيماً وهو يبتسم ابتسامة ساخرة ويتفحصها بشكلها الجديد. وعندما عادت لورين تحمل له فنجان الشاي كان يجلس بالقرب من هوغ يتحدث معه.

- هل تريد بعض السكر يا سيد داربي؟

- نعم... كثيراً من السكر.

حملت شغل الصوف من جديد وعادت للحياكة وهي تحاول ان تبدو مرتاحة. كان جان يجيل طرفه بينهما مستوضحاً بعض الأمور، ثم نظر الى هوغ وقال:

- أنت متخصص في مادة الكيمياء؟ هل تحب مهنة التعليم؟

هز هوغ كتفيه وقال:

- كنت افضل لو ان المدرسة مختلطة. الفتيات مشاغبات ومثيرات في اكثر الأحيان.

ضحك جان:

- هذا شيء لا يقلقني او يثير نقمتي.

تذكرت لورين والدتها حين قالت: «ان الفتيات يحمن حوله كالفراشات حول النور». ارتبكت وعملت اخطاء في شغل الصوف مما اضطرها للتصليح. قال جان يخاطبها:

- وأنت يا آنسة فارس. لقد اعتدت مهنة التعليم كما تعتاد البطة العيش في الماء.

- لا. لقد انتقيت مهنتي بنفسي يا سيد داربي. لم اجبر على هذا الاختيار. اعتدت على عملي وبدأت احبه.

هز جان رأسه موافقاً وقال:

- الاستقرار الممل. عملك صلب ومتحجر لا اثارة فيه، فأنت لا تحيدين عن دفتر ملاحظاتك. تقدمين المادة دون خيال ولا تحاولين تغيير الاسلوب. صفوفك مليئة بالطالبات الذكيات وأنت تتوقعين منهن قبول ما تلقنينه لهن دون نقاش او جدال على انه الحقيقة الوحيدة.

انزعجت لورين من هجومه المفاجيء. لقد ركز هجومه على عملها بثقة

وتأكيد وكانت ترغب لو تسد فمه بشغل الصوف الذي تحيكه وتجعله يكف عن الكلام.

ـ وماذا تفهم عن مهنة التعليم . . . نحن نلقن التلميذات حقائق المعرفة ودقائقها وهذه الحقائق ستفيدهن في حياتهن في المستقبل. نحن لا نفتش في الحياة عن دبابيس وأشواك مدفونة نظهرها للملأ ونجبر الناس ان يتقبلوها رغماً عنهم عندما ننشرها على الرأي العام.

ابتسم ابتسامة صغيرة باردة وكانت نظراته الجامدة تقيمها. احمرت وجنتاها. قال:

ـ أنت دائماً تنتقدين انتقادات هدّامة وعاطفية مثل غالبية الناس. لقد اتخذت قرارك مسبقاً دون دراسة او روية وبجهل سافر.

وأكمل حديثه دون ان يسمح لها بالاعتراض:

ـ نظرتك الى الصحافة والصحافيين لا تختلف عن بقية آرائك. أنت مدرّسة للغة الانكليزية وتعتقدين ان التقرير الصحافي يجب ان يكون قطعة نثر ادبية. يا آنسة فارس، كتابة تقرير صحافي هو اختصاص رفيع المستوى. الصحافة تعمل في التفتيش عن علامات أساسية وركائز للمستقبل من حوادث الحاضر. والصحافي الخبير يكتشف هذه الأسرار ويلفت النظر اليها.

قال هوغ:

ـ هل تقول ان الصحافي يستطيع ان يرى المستقبل من خلال الحاضر؟

قال جان:

ـ هذا يختصر بكلمات قليلة ما اعنيه.

ـ لا يهمني ان تقنع هوغ بالأمر، فأنت لن تقنعني ابداً. المراسلون الصحافيون يفتشون في الزوايا والخبايا ويجسمون توافه الأمور، وهذا ما يضع الخبر في حجم دون حجمه الطبيعي، ويزيد من أهميته. بعبارة اخرى هي عملية خداع كبرى للرأي العام.

هز جان رأسه آسفاً:

ـ كم اتأسف من أجل تلاميذك في المدرسة لسوء حظهم. لأنهم وقعوا على معلمة مثلك لا تلم بالحقيقة الكاملة.

ضحك هوغ:

- احذر يا جان قبل ان ترميك بشيء ما.
- لا. الآنسة فارس لا يمكنها ان تفقد صوابها وتتصرف كفتاة طائشة.
- يا آلهي. الود مفقود بينكما بالرغم من معرفتكما القصيرة ببعضكما. لنغير الموضوع قبل ان تعلن الحرب سافرة بينكما... وماذا بشأن الترانزيستور يا جان؟
- تعال الى غرفتي وعاينه.

خرج جان وتبعه هوغ مسرعاً كأنه يريد الهروب من الجو المشحون الغاضب. بقيت لورين مع غضبها. رغبت في البكاء ولكنها امسكت نفسها بجهد.

بقي هوغ في غرفة جان فترة غير قصيرة ثم نزل متأبطاً الراديو ورفع يده مودعاً، قبّل لورين على خدها قبلة سريعة وخرج.

قال جان بلطف:
- لورين؟

كانت هذه أول مرة يناديها باسمها. التفتت اليه.
- انني احب السلام وأكره الحرب... خصوصاً حرب الأهل.

مدّ يده مصافحاً:
- هل نعلن هدنة بيننا؟

يقول انه فرد من أفراد... العائلة؟ تجاهلت لورين يده الممدودة لمصافحتها.
- عمت مساء يا سيد داربي.

٢- وحدها في الحديقة

تجاهل جان ولورين بعضهما فترة من الوقت. حتى لو ابتسمت لورين ابتسامة غير مقصودة، كان جان يتجاهلها. وبذلك اختفى الجدال والخصام العلني بينهما.

عادت لورين تهمل لباسها وترتيب شعرها وزينتها. وفي يوم الأحد بعد الظهر قررت ان تتمشى بصحبة صديقتها آن. لبست ثياباً عتيقة كانت لها أمجاد في الأيام الخوالي.

قالت لها آن بتشوق:

ـ أين المستأجر الذي تتذمرين منه دائماً؟

ـ الحمد لله لم تسمعك والدتي لأنها تعتبره فرداً من أفراد العائلة. هي تهتم بأمره وتعتني به كأفضل ما يكون. في بعض الأحيان يتناول الشاي هنا بصحبتها فاضطر ان أدخل غرفتي بانتظار خروجه.

ـ انه يخيفك كالشبح المرعب. اظن انه خارج المنزل لأنك تتكلمين عنه بحرية.

ـ حين لا يكون خارج المنزل يبقى في غرفته او بالقرب من الهاتف. . .

ـ وهل هناك نساء في حياته؟

هزت لورين كتفيها دون اكتراث وقالت:

ـ بالعشرات. . . ما لنا وله. لنذهب الى نزهتنا.

كانت بريل مستلقية امام المنزل تستمتع بدفء ايلول (سبتمبر) قدر المستطاع. لوحت لورين لها بيدها مودعة قبل خروجها مع آن.

ركبتا الباص ووصلتا الى الحديقة العامة في ضواحي المدينة. تسلقتا

التلة المشرفة على المدينة وأخذتا تسيران على العشب الأخضر وسط المناظر الخلابة. كانت لورين تشعر ببهجة ومرح وهي تصعد التلة. كانت معنوياتها ترتفع مع كل خطوة.

وقفتا في أعلى التلة ونظرتا الى أسفل حيث لا يزال عدد كبير من الناس يتسلق. عبست لورين وحبست أنفاسها وهي ترى شخصاً أسمر طويلا يتسلق التلة وقد وضع يديه في جيوبه. قالت بحدة تخاطب آن:

ـ هذا هو... انه المستأجر الشاب.

ـ أين؟ اخبريني أين قبل ان يمر دون ان أراه.

ـ انه يصعد التلة. (جمدت لورين من الخوف والارتباك). هل استطيع ان اختبيء؟

نظرت آن اليها نظرة استغراب وقالت:

ـ ولماذا تريدين الاختباء؟ هل سيؤذيك؟

لو رآها هي وآن هل سيتجاهلها؟ نظر اليها مبتسماً وقال:

ـ مساء الخير يا آنسة فارس.

هزت رأسها محيّية. انه لم يتكلم معها منذ عدة أيام. منذ ان رفضت اعلان الهدنة بينهما... حاولت الابتعاد عن نظراته الفاحصة... عرّفته على صديقتها آن بارتباك وقدمت صديقتها اليه قائلة:

ـ سيد داربي، أقدم لك صديقتي آن بالمر.

ـ أنت السيد داربي؟ قالت لورين انك صحافي.

ـ نعم (نظر الى لورين) هل يجب عليّ ان احتمي من هجماتها؟

ـ لماذا؟

ـ لا تقولي انك لا ترين حوافري وأظافري؟ أنا واثق ان الآنسة فارس قد شرحت لك عن عملي.

ابتسمت لورين:

ـ ولماذا تعتقد يا سيد داربي انني اتحدث عنك مع صديقاتي او حتى أفكر بك؟

تظاهر جان بأنه يرتجف وقال:

ـ أنا استأهل ما جلبته لنفسي...

سرّت آن كثيراً لتعرّفها اليه. تمشوا سوية. كان جان يمشي في الوسط

وقال:

ـ وأنت ايضا معلمة يا آنسة آن بالمر؟

ـ نعم. انني واحدة من التعساء في المهنة. لقد أمضيت فترة طويلة في هذه المهنة وأصبحت متحجرة. (نظرت الى لورين). احترسي يا لورين. لا تجعلي بقاءك في هذه المهنة يطول حتى لا تستقر في عروقك وعظامك. لقد قال احدهم: «لمسة الطبشور تترك آثارها على المصاب لآخر العمر. . .».

ـ لقد أصابتني العدوى وانتهى الأمر. اسألي السيد داربي. لقد قال انني مملة وأردد الحقائق كالببغاء او الطبل الأجوف، انني محترمة اكثر مما ينبغي. . .

قال جان:

ـ لك ذاكرة قوية كذاكرة الفيل يا آنسة فارس.

فقالت لورين:

ـ عندما يجرح المرء لا يستطيع ان يتغاضى او ينسى.

كان جان يشعر بانتصاره بالرغم من كل ما دار بينهما من حديث. احست لورين بازدياد كراهيتها له وتصاعد غضبها. وحين تمالكت نفسها واستعادت توازنها كان الحديث يدور بينه وبين آن حول الفن الحديث. . .

ـ لدي تذكرتان لافتتاح معرض فني في المدينة. يسرني ان ترافقيني.

نظرت آن الى لورين ثم قالت:

ـ أحب ذلك يا سيد داربي، ولكن هل انت متأكد من انك لا تريد ان تدعو احداً غيري. . . لورين مثلا. . .

نظر نظرة قاسية الى لورين مما جعلها تحمر خجلا وقال:

ـ يا الهي. . . بالتأكيد لا. انا لا أرغب في تمضية أمسية كلها شجار وجدال.

اتفق جان مع آن على موعد اللقاء وقال:

ـ سنتناول وجبة طعامنا سوية بعد المعرض. ما رأيك؟

ـ لا، لا لزوم.

لم يكن يسمح لاعتراضها بل كان يعدد الأماكن التي يمكن تناول طعامهما فيها. اقترح مكاناً ووافقت آن على الفور ثم شكرته كثيراً.

ـ لا حاجة بك لشكري فأنا مسرور جداً بمعرفتك وسأسر ايضا

بمرافقتك.

ثم تركها دون ان يلتفت الى لورين.

قالت آن:

ـ لماذا تخترعين الأكاذيب عنه يا لورين؟ انه شاب لطيف وساحر. لقد جذبني اليه وأنا في هذا العمر المتقدم.

ـ انت في الثالثة والثلاثين فقط يا آن. ربما انت تصغرينه، فهو في السادسة والثلاثين.

ـ انت تقولين ان النساء يحمن حوله بالعشرات، ولقد دعاني للخروج معه. هذا يفرحني كثيراً ويتطلب مني ان اشتري ثوباً جديداً للمناسبة.

شعرت لورين بغصّة في حلقها. هل من المعقول ان تشعر بالغيرة؟ شعورها بالغيرة يعني انها تهتم لأمره.

طهت بريل طعام الأحد بينما لورين ترتب ملاحظاتها وأوراقها للصف الذي تعلمه في مساء كل اثنين في الكلية التقنية. كانت تكسب من هذه الدروس بعض المال، ولكن الجو هناك يسرّها. كان الطلاب في المدرسة يعملون بارادتهم دون جهد او توبيخ.

كان جان عادة يتناول طعامه في غرفته ولكن السيدة فارس دعته لمشاركتها طعام الغداء. كانت بريل تتكلم بينما لورين تقدم الطعام:

ـ هل أخبرتك يا عزيزتي ان جيمس كارنيش سيصحبني لنركض سوية؟

جيمس كارنيش هو مدير بريل الجديد. انه أرمل في الخمسين من عمره. وهو متفاهم معها. ما يزعج لورين الآن هو ان كل واحد حولها مشغول برفيق حميم. حتى صديقتها آن لديها جان. . .

قالت بريل:

ـ هل ستخرج بعد الظهر يا جان؟

ـ ربما، انني ارغب في رؤ ية شخص لا يحضر الى المدينة الا في عطلة الاسبوع.

قالت لورين:

ـ انا سأبقى أرتاح في الحديقة.

قال جان:

ـ أمسية كسولة يا آنسة فارس.

ـ نعم (عبست) مملة وعادية ودون اثارة... محترمة جداً (كانت حزينة).
كادت لورين تسمع ابتسامته. شدّت على اسنانها من الغيظ.
بعد الغداء سمعت جان يغادر المنزل بينها كانت والدتها تبدّل ثيابها. اخرجت لورين المايوه المؤلف من قطعتين وكانت قد اشترته في العطلة التي أمضتها مع آن في جزيرة صقلية. لم تلبسه من قبل لأنه مثير وجذاب ولونه احمر قانٍ. الطقس دافىء والشمس تدعو للاسترخاء. ولماذا لا تلبسه؟ لا يوجد في المنزل أحد. جيرانها لا يهتمون وجان في الخارج...
ارتدت لورين المايوه ونظرت الى نفسها في المرآة فلم تتعرف الى شخصها. التقت والدتها وسألتها:
ـ هل في جلوسي بالمايوه في الحديقة ما يدعو للخجل يا أماه؟
ـ كلا يا عزيزتي. لماذا الخجل؟ انت جميلة والمايوه يليق بك كثيراً.
ـ وأنت جميلة يا أماه... الى أين ستذهبين؟
ارتبكت السيدة فارس وقالت:
ـ مشوار... لن أعود وقت تناول الشاي. يمكنك تناوله بمفردك.
اخبرتها لورين انها لا تمانع في خروجها وطلبت منها ان تمتع نفسها... ثم فرشت بَساطاً عند مدخل المنزل وتمددت. ربما نامت لورين بعض الوقت لأنها استفاقت منزعجة. فتحت عينيها ورفعت رأسها ونظرت حولها. ولكن المنزل فارغ، وربما يكون شخص قد أغلق الشباك وأزعجها.
وضعت نظارتها الشمسية وفتحت كتاباً وانهمكت بالقراءة حتى انها لم تسمع وقع أقدام قربها. انزلت الكتاب ونظرت الى وجه جان. كان قد وضع نظارته الشمسية ايضا فوق عينيه. خلعت لورين نظارتها ثم اعادتها بسرعة لأنها لا تريده ان يرى التعابير التي تطل من عينيها في تلك اللحظة. تمنّت لو يتركها وحدها او ان يقول شيئاً يكسر به طوق الصمت الرهيب.
ـ اعتقدت انك في الخارج يا سيد داربي.
ـ كنت يا آنسة فارس ولكنني عدت منذ قليل.
تملكها ارتباك واختفت الكلمات. نظر اليها متفحصاً وقال:
ـ هل انت ضجرة يا آنسة فارس؟ هل انت محتشمة في هذا الثوب؟

مشى بعيداً عنها والتقط كرسياً، ثم فتح كتاباً وبدأ يقرأ.
- هل لديك مانع في ان اجلس وأقرأ هنا؟ لقد سمحت لي والدتك باستعمال الحديقة متى أردت...
- وأنا لا استطيع مخالفة والدتي يا سيد داربي ولو أردت ذلك. فأنت ضيفها ولست ضيفي...
تمنى لو استطاع ان يجعلها تبتلع كلماتها... خلع سترته وفك ربطة عنقه ثم فتح أزرار قميصه وجلس صامتاً يتمتع بدفء بعد الظهر.
حاولت لورين التركيز على الكتاب الذي بين يديها عبثاً. اعادت قراءة الجمل اكثر من مرة ولكن محاولاتها جميعها باءت بالفشل...
كانت لورين تسترق النظر الى جليسها من وقت لآخر وتتعجب. انه لا يتشدّق بالكلام كغيره من الصحافيين، ولا يبدو انه يكثر من الشراب كما كانت تعتقد بل على العكس فانه يتمتع ببعض الصفات المهنية الرفيعة من الذكاء والكفاءة والمعرفة. وفوق ذلك فهو بالفعل رجل هادىء رزين.
لقد غيّرت رأيها به. جميع آرائها السابقة مخالفة للحقيقة الراهنة امامها. جزعت لما حل بتفكيرها. لقد شُلّ نهائياً. نهضت على الفور وحملت كتابها ولمّت البساط وركضت هاربة من الحديقة ومنه ومن نفسها.
أمسيات أخرى تلت. كانت لورين تجلس في غرفة الجلوس تحضر بعض تقاريرها وملاحظاتها حين قرع الجرس. اعتقدت ان والدتها بالباب وانها قد نسيت مفتاحها... كان القادم هوغ.
- آسفة يا هوغ... ربما نسيت موعدنا...
هز هوغ رأسه نفياً وهو يدخل وقال:
- لا، لم تنسي لأن ليس بيننا موعد. لقد حضرت لرؤ ية جان. دعاني لتمضية السهرة برفقته. ألم يخبرك؟
- لا، فحياته الخاصة ملك له وحده.
- حسناً. لا تفقدي اعصابك...
- آسفة يا هوغ. يمكنك ان تصعد الى غرفته. ربما ينتظرك هناك.
وبعد فترة قصيرة قرع جرس الباب من جديد. فتحت لورين. هناك فتاة جميلة شابة في الباب. سألت بلطف وغنج:
- هل يعيش السيد داربي هنا؟

ـ نعم.
ـ انه ينتظرني. اسمي مارغو فرنش. أنت حتماً الآنسة فارس. لقد حدثني عنك فنحن صديقان...
ـ اصعدي الى غرفته يا آنسة فرنش. لديه زائر غيرك ايضا.
ـ نعم. اعرف. لقد طلب مني الحضور ليعرفني الى شاب...
فتحت لورين فمها مستغربة ثم أغلقته دون ان تنبس ببنت شفة. جحظت عيناها في مقلتيها، بينما صعدت الزائرة الفاتنة تتهادى الى غرفة جان.

اجتاح الغضب لورين ولم تستطع كبح جماحه كما فقدت رباطة جأشها وتوازنها فارتجف القلم بين يديها... كل شيء قد دُبّر احسن تدبير... صديقها هوغ وصديقة جان في حديث حميم. وهي ستبقى وحيدة مهملة ومنسية. كانت لورين تسمع الضحكات والكلمات وتشم رائحة السجائر من خلف الباب المغلق.

مارغو فتاة نحيلة أنيقة وتتمتع بأنوثة كاسحة من أخمص قدميها الى قمة رأسها. كانت ترتدي معطفاً واسعاً يلفها بغموض مثير فوق فستان أسود قصير وقد وضعت قبعة سوداء كبيرة فوق رأسها وكست وجهها بالمساحيق بشكل يضيف جمالا الى جمالها الطبيعي.

عادت بريل من مشوارها وسمعت حديثهم في غرفة جان وقررت ان تصنع لهم القهوة بنفسها. ولكن لورين اعترضت قائلة:
ـ لن أحمل القهوة لهم لأن هوغ معهم فوق.
ـ لا تكوني هكذا... ان جان يحاول بناء صداقات جديدة ولو كنت تعاملينه بطريقة أفضل..

ولكن لورين قطّبت غاضبة مما اضطر السيدة فارس ان تحمل القهوة لهم بنفسها. وبقيت تسامرهم بقية السهرة. وأخيراً نزل الجميع وكانت بريل وجان في وداعها. شاهدت لورين هوغ يلف ذراعه حول كتف مارغو وهو يضحك في وجهها، وحملها معه بسيارته ليوصلها الى بيتها وهو في منتهى الابتهاج.

وقف جان يبتسم ابتسامة ساخرة وقال:
ـ مارغو فتاة جذابة أليس كذلك يا آنسة فارس؟ انتبهي قبل ان يقع

صديقك في حبها وتخسرينه.
سحبت لورين نفساً عميقاً لتهدىء من روعها وقالت بتحدٍّ:
ـ اذا كانت عواطفه نحوي على هذا الحال... فمع السلامة. لتأخذه مارغو.
دخلت الى غرفة السفرة ولدهشتها وجدت نفسها تجهش بالبكاء دون سبب. وحين هدأت قليلا حملت نفسها الى غرفتها. عندما مرت بغرفة جان كانت واثقة ان دموعها من اجل جان وليست من اجل هوغ.
اشترى جان سيارة جديدة وكانت آن أول من جربها. مرّ جان عليها ليصحبها الى المعرض الفني في المدينة، وهي بدورها اخبرت لورين بعد ذلك عن السيارة الجديدة التي اشتراها جان.
بعد المعرض عاد جان ومعه آن الى المنزل، وخرجت لورين لتقابل صديقتها ولاحظت على الفور تألقها وسعادتها. قالت آن بمرح:
ـ فستان جديد اشتريته على احدث طراز بهذه المناسبة. (دارت امامها كما تفعل عارضة الأزياء). ثم تناولنا طعامنا ودعاني الآن لتناول القهوة. هل ترافقينا الى غرفته؟
ـ لا. لست مدعوّة.
تركتها وعادت الى غرفة الجلوس تتابع البرنامج التلفزيوني. كانت أفكارها قد تشتت. بدأت ترى خطته جلياً. لقد رفضت طلبه لاعلان هدنة بينهما وعليها ان تنال جزاءها من العقوبة. كان يجردها من أصدقائها واحداً واحداً...
أقفلت التلفزيون بعد ان عجزت عن متابعته واستأذنت والدتها بالنوم باكراً. أغلقت باب غرفتها وغرقت في همومها حتى انها لم تسمع آن ساعة خرجت.
وفي اليوم التالي اخبرتها آن تفاصيل موعدها مع جان. أكدت لها انه جذاب وحديثه ساحر وطريف وأنها استمتعت كثيراً برفقته.
ـ انه شاب مسلٍّ للغاية. يمكنك الاستفسار منه عن مهنته في يوم من الأيام... (ثم سألتها) هل رأيت نسخة من جريدته؟
ـ لا. انا لا أقرأ هذه الحثالة الأدبية.
ـ ليست كذلك الآن. لقد حقق جان العجائب في تطويرها. على فكرة

لقد اخبرني ان صورته ستظهر في الجريدة اليوم تحت عنوان: الشاب القادم من فليت ستريت.

تعمدت لورين ان تبتعد عن بائعي صحف المساء. وتذكرت ان آن قد اخبرتها انها ستسهر مع جان هذه الليلة ايضا، وسألتها:

ـ آسفة يا لورين، هل يزعجك ان أسهر معه؟

حاولت لورين الابتسام بالرغم من الألم اللذي حزّ في نفسها واخترق جسمها كما تخترقه الرصاصة وقالت:

ـ بالطبع لا ازعاج من تصرفاتك يا آن. تمتعي بوقتك قدر ما يطيب لك ذلك. (وسألتها وهي تحاول ان تبدو مهتمة) الى أين سيأخذك هذه الليلة؟

ـ لديه أربع تذاكر لمعرض الأصوات والسمعيات في لندن. لقد دعى هوغ ومارغو لمرافقته. هوغ يهتم كثيراً بالراديوات...

كبتت لورين جام غضبها قدر ما استطاعت، ولكنه أصاب في النهاية كل من تكلم معها من تلميذاتها، حالما بدر منهن أي ازعاج. كان تهكمها يلسع الفتيات بسياط غضبها، وحين انتهت الحصّة خرجن مهللات.

اشترت لورين نسخة من الجريدة المسائية وهي في طريق العودة الى البيت. حملتها معها الى غرفتها وبيد مرتجفة فتشت الصفحات عن صورته حتى وجدتها. اخرجت المقص وقصت صورته وأمسكتها باهتمام بالغ. حدقت في الوجه الوسيم والعينين الحادتين والنظرة الجادة. كان الرجل الهادىء الرصين الذي لا يبتسم... وتدريجياً هدأ غضبها وطوت الصورة بتأنٍ وأخفتها في الجارور حيث لا يمكن لأحد ان يعثر عليها.

لورين تنظف البيت دورياً مع والدتها. كانت أكثر الأحيان تتهرب من تنظيف غرفة جان. احياناً تتناساها او ترفض حتى الدخول اليها. واليوم دورها في التنظيف ووالدتها في الخارج. لبست بنطلوناً وكنزة قديمة وقرعت بابه، وانتظرت ان يكون في الخارج ولكنه فتح الباب بنفسه وشاهد المكنسة الكهربائية.

ـ اذا كان الوقت غير ملائم...

ـ ادخلي وانتهي من عملك.

ـ انها مرتبة نوعاً ما وليست كما توقعت...

ـ وماذا توقعت؟ زجاجات فارغة ومنافض مليئة بأعقاب السجائر

وعشرات الفتيات حولي؟
ـ نعم.
ـ آسف لأنني خيبت أملك ولكن في المرة المقبلة سأتدبر أمري لارضائك (ولبس سترته) سأخرج الى الحديقة وانتظر.
نظفت لورين الغرفة بتأنٍ وبالغت في ترتيبها، وكانت في طريقها الى الخارج حين عاد جان وسألها:
ـ هل انتهيت؟ شكراً. (جلس على كرسي وكان يبتسم ابتسامة محرضة) في المرة القدامة سأملأ الغرفة بالفتيات قبل حضورك.
ـ لن يصعب عليك ذلك.
ـ لا. مذكرتي مليئة بالأسماء والعناوين. هل اخبرتك ماذا افعل بهن؟ انني ادخل كل واحدة الى حديقتي من الباب الصغير واتركها تنضج وتزهر وتتفتح وعندئذ أقطفها وأرميها كالعشب اليابس.
ضرب كفيه ببعضهما علامة الانتهاء ثم رفع يديه ووضعهما خلف رأسه وهو يراقب ردّة فعلها ساخراً.
ـ أوه. يا الهي، عليّ ان احذّر آن...
ـ لا. لن تفعلي. أنا وآن متفاهمان.
ـ وماذا... (قالت متلعثمة) وماذا تفعل بفتاة مثلي؟
ـ أنت؟ أنت لا أدعك تدخلين حديقتي!
اصفرت وشحبت وصعقت. ثم غادرت الغرفة كالمشدوهة لا تصدق ما تسمع.
وفي المساء التالي حضر هوغ لزيارتها بعد ان دعته بنفسها. كان قد بدأ يتحاشاها في المدرسة التقنية ودعته لزيارتها فوافق على الفور.
كان لقاؤهما كالعادة. لورين تحيك الصوف وهوغ يتصفح المجلات والحديث بينهما يتناول الأمور العادية. احست لورين ان رتابة لقاءاتهما لا تشجع أبداً على استمرار العلاقة بينهما. فالتجاوب العاطفي شبه معدوم بينهما، وتذكرت نظراته الدافئة الى مارغو حين أوصلها الى بيتها بعد زيارتها لغرفة جان، وتذكرت ان مارغو كانت مسحورة به وهو يضع يده على كتفها مع انه كان قد التقاها منذ ساعات قليلة، بينما هو يعرفها منذ سنتين. حياتها بقربه خالية تماماً من الانفعالات والأحاسيس، وهي لا تتذكر آخر مرة

عانقها. . .

أيقنت لورين ان علاقتهما قد انتهت. وضعت شغل الصوف جانباً من يدها وأخبرته بالواقع الملموس. كانت تتعثر بالكلمات. . . كأنها تعترف بفشلها كامرأة. لقد شعرت بمهانة كبيرة بعد ان انتهت من كلامها.

بدا هوغ غاضباً في البداية، ثم احست بأنه تقبّل الأمر برحابة صدر وكأن عبئاً ثقيلا قد أزيح عن كاهله. قامت لورين بعد ذلك وصنعت الشاي لهما وبعد ان انتهيا تصافحا وودّعها هوغ وخرج من حياتها. بقيت لورين في مكانها تفتش عن حقيقة أحاسيسها. سمعت قرعاً على الباب ودون ان تدري قالت:

- ادخل.

- آسف. خيل الي انني سمعت صوت هوغ؟

- كان هنا وغادر منذ عشر دقائق.

كانت لا تزال واجمة وشاردة. عبس جان وهو ينظر اليها وسألها:

- ما الأمر؟ هل حدث بينكما خلاف؟

- لم يكن بيننا ما يوجب ذلك. كنا صديقين فقط. . .

- نعم. أعرف ما تقصدين. كلما حضر لزيارتك كنت تشتغلين بحياكة الصوف بينما يتصفح هو المجلات. وأنت الفتاة الدافئة الجذابة يعاملك كقطعة من الرخام ببرودة. كل ما كان يربطكما هو حب افلاطوني او حب عذري.

كلما استمعت لورين اليه مفصلا حياتها مع هوغ كلما ازداد غضبها. كانت الحقيقة المؤلمة تصفعها وتؤلمها.

- هذا هو واقع حالنا. . .

- كان عليك ان تراقبي تجاويه مع مارغو.

قال ذلك ساخراً ومستفزاً اياها. أمسكت بالصوف وبدأت تفتّقه من جديد.

- لا لزوم لذرّ الملح على الجرح. أرجوك.

قالت وهي مخنوقة بدموعها:

تجاهل جان غضبها وتوترها وكأنه لم يسمع ما قالته وأكمل:

- انت الآن وحيدة. . . لا ترتبطين برجل. . .

- نعم وحدي. (وصرخت) أليس هذا ما تريده؟
كانت صرختها تحتوي على دموعها التي تعبر عن فشلها الأكيد كأنثى... لقد اخفقت في الاحتفاظ برجلها... خرج جان وأغلق الباب خلفه.

٣ - طُعْم لسمكة اخرى

توطدت اواصر الصداقة بين بريل ومديرها جيمس كارنيش. قالت بريل تحادث لورين بلطف وحنان:

- يريد جيمس مقابلتك يا لورين، هل لديك مانع لعلاقتي به؟

- أماه، انني سعيدة جداً (وقبّلتها فوق خدها) يمكنك التمتع بوقتك معه قدر المستطاع ولكنني ارجو ان تعطيني مهلة كافية يوم تودين ان اخرج من البيت واستأجر غرفة لي.

- لا تكوني غليظة التفكير، فانت ستبقين دائماً معي ومكانك الطبيعي هنا.

كانت لورين واثقة من انها، يوماً ما، ستخرج من حياة والدتها ويتوجب عليها مغادرة المنزل. شعورها بالوحدة بدأ يضايقها اكثر بعد قطع علاقتها بهوغ. كل شخص حولها له صديق. . . وهي تبقى كل مساء وحيدة. الساعات التعليمية في الكلية التقنية مساء كل اثنين تسليها، والعمل هو منفذها الوحيد لتشغل لياليها في التحضير او التصليح.

في تشرين الأول/ اكتوبر تغير موعد صفها المسائي لأسبوع واحد. صعدت بالمصعد الى الطابق الثالث وحاولت ان تتذكر رقم غرفتها. حملت دفتر التسجيل لصفها من المكتب ومشت في الممر الطويل الى داخل الغرف علها تتعرف الى تلاميذها. نظرت الى داخل احدى الغرف ودهشت لرؤية جان داربي واقفاً يحاضر في تلاميذ احد الصفوف. هل هو خيالها الذي اوحى لها بشكله؟ انه يلاحقها في كل مكان كالشبح. . . اعادت الكرة ونظرت من جديد وتأكدت انه هو بشحمه ولحمه. انه حقيقة يعلم في هذه

الكلية التقنية. لقد كتب على اللوح: اللغة الانكليزية. ارتبكت. كيف يمكنه ان يعلم التلاميذ وهو صحافي؟ انه يتعدى على المهنة. ارادت ان تقتحم عليه الغرفة وتعلن للجميع كذبه وعدم كفاءته. . .

ارتفع غضبها ولكنها اكملت مشوارها عبر الغرف حتى وجدت تلاميذها في غرفة في نهاية الممر. اعتذرت لهم عن تأخرها وبدأت في تعليمهم. كانت افكارها مشتتة بين محاضرتها وبين التفكير في جان داربي الذي كان يعلم في غرفة مجاورة. ربما يكون المسؤولون في الكلية قد ارتبطوا معه ليعلم قسماً من الوقت عن حسن نية، وهم يجهلون عدم كفاءته ومقدرته، فهو صحافي غير قدير على تمييز اللغة الجيدة من اللغة الرديئة التي يطبعها كل يوم في جريدته. . .

بعد الحصة، فوجئت لورين به في المكتب يضع دفتر التسجيل لصفه في احد جوارير المكتب. لم يخطر ببالها انها ستلتقيه بعد الحصة. ارادت ان تركض هاربة منه حتى لا تتعرف اليه ولكنه بكل برودة اعصاب نظر اليها نظرة العارف وكأنها لم تقبض عليه بالجرم المشهود، بل بدا طبيعياً وهادئاً كعادته.

بدأت ضربات قلبها تسرع وشعرت بعد فترة كأنها توقفت لفترة رهيبة وهو يقول لها بلطف:

ـ اهلاً يا آنسة فارس.

ـ مساء الخير يا سيد داربي.

تنحى لها قليلاً وافسح لها المجال لتضع دفتر التسجيل لصفها في الجارور ثم التقت نظراتهما لفترة دون ان يعرفا ماذا يفعلان. واخيراً خرق جان جدار الصمت بينهما قائلاً:

ـ هل ترغبين ان اوصلك بسيارتي الى البيت؟

لم يشرح لها اسباب وجوده في الكلية او يعتذر عن انتحاله شخصية المعلم المحترم. . . فقط دعاها لمرافقته. ارادت ان ترفض ولكنها في اخر لحظة غيرت رأيها.

ـ نعم. شكراً.

رفع حاجبيه مستغرباً قبولها ولكن السرور بدا عليه. غادرا المكتب ونزلا السلالم صامتين ثم مشيا الى مرآب السيارات حيث دخلت سيارته دون ان

تبادله كلمة واحدة. بقيا صامتين طوال الطريق الى المنزل. اوقف سيارته امام المدخل وللحال فتحت لورين الباب ونزلت منه في نفس الوقت الذي نزل جان ايضاً. اخرجت لورين مفتاح المنزل وفتحت الباب الخارجي. تبعها جان الى قاعة الجلوس حيث قال:

ـ حسناً يا آنسة فارس. صمتك كان معبراً للغاية. تكلمي. ماذا يزعجك؟ اي جريمة اقترفت الآن؟

ـ جريمة؟ نعم. هذا صحيح يا سيد داربي (بدأت عيناها تشعان والانفعالات المختلفة تجتاحها. رمقته بنظرة قاسية حادة واكملت) اريد ان اعرف هل يعلم المسؤولين في الكلية انك دخيل على مهنة التعليم ولا تملك المؤهلات لهذا العمل؟ ربما وافقوا على اعطائك هذه الوظيفة عن حسن نية وصدق. . . انت صحافي يكسب قوته في كتابة توافه واشاعات واقاويل حقيرة، ولا تملك المقدرة لتعليم اللغة الانكليزية الصحيحة.

امسك بها بقسوة وهزها. رفع حاجبيه مستنكراً ما سمع. والابتهاج والسخرية اخذا يتصارعان في نظرات عينيه وهو يقول:

ـ عملي الأساسي في الحياة ان اغذي الغالبية من السكان بالقراءة السهلة. وبنظرك عملي يسيء الى اللغة الانكليزية لأن المستوى الذي اكتب فيه لا يتعدى التافه من الكلمات. . .

ـ حتماً. هذا عملك.

حاولت ان تتحداه وتتجاهل الغضب الذي برز في عينيه كما يبرز النمر فجأة من وسط الغابة.

ـ وماذا ستفعلين؟ هل ستخبرين المسؤولين عني وتعلنين عدم جدارتي بالوظيفة؟

حاولت ان تتصدى لتحديه ولكن عينيها انخفضتا تحت سطوة عينيه. انزل حاجبيه وتكلم بصوت بطيء وهادىء:

ـ انت حمقاء درجة اولى ولا استطيع ان اصفك بنعت افضل من ذلك. . .

نظرت اليه مستغربة تهجمه عليها ورأت سخريته في ابتسامة خبيثة. قال:

ـ حسناً يا آنسة فارس. اذهبي الى المسؤولين وافعلي ما يحلو لك وانا

بانتظارك. يسرني ان اسمع رأي المسؤولين في الكلية حين يستمعون لقصتك المشينة.

بدأ جان يصعد السلالم باتجاه غرفته ولكنه توقف في منتصف الطريق وعاد:

- كلا. لقد غيرت رأيي. سأوفر عليك تلك المشقة.

- هل ستخبرهم انت بنفسك وتستقيل من عملك؟

- لا. لن استقيل بل سأخبرك شيئاً آخر. قفي امامي يا آنسة فارس. (امسك بها بقسوة وجذبها لتقف تحت الاضواء في غرفة الجلوس) هنا حيث استطيع ان ارى ردة الفعل ترتسم في تعابير وجهك.

ارتبكت من تشدقه وهي ترى سروره الظاهر في وجهه.

- انا يا عزيزتي آنسة فارس املك مؤهلات تفوق مؤهلاتك...

حاولت لورين ان تفتح فمها لتعترض ولكنه رفع يده واكمل:

- اصمتي ارجوك فانا لم انته بعد من كلامي. (زاد عبوسها وهو يكمل حديثه بتأن واضح) لمعلوماتك الخاصة، انا احمل اجازة جامعية ولو رغبت لوضعت بالقرب من اسمي... ماجستير في الآداب من جامعة اكسفورد. تخرجت بامتياز درجة أولى ولدي قبول لمتابعة تحصيلي العالي لو رغبت (ابتسم بخبث) نعم كنت واثقاً ان الدماء ستصعد الى وجنتيك حين اخبرك، ولذلك اردت ان اشاهد ردة فعلك حين اخبرك واراقب ارتباك الخجل يكسو وجهك كما تفعلين الآن.

مشى قريباً منها ويداه في جيوبه. حاولت ان تتمتم معتذرة ولكنه لم يسمح لها بذلك.

- عليك ان تسترجعي كل اتهام تفوهت به ضدي، وكل اهانة رميتني بها منذ وطأت قدماي عتبة الدار. الحقيقة، اريد ان اجعلك تجثين على قدمي وتطلبين السماح.

فتحت لورين من جديد فمها في محاولة للاعتذار ولكنها لم تتفوه باكثر من:

- ولكن... لكن... لماذا؟

- لماذا؟ لماذا في رأيك لم اخبر العالم بأسره عن شهادتي العالية؟ ما دمت في مهنة الصحافة حيث الخبر اهم من اي شيء آخر... تحصيلي العلمي لا

يهم قدر ما تهم خبرتي. لا اريد ان اتباهى وازهي بتحصيلي الجامعي امام زملائي في العمل. سيعتقدون انني عنيد ورأسي ناشف اذ اترك المناصب العلمية الرفيعة واكتفي بالعمل في الصحافة. (ضحك ساخراً) هذا من سخرية القدر وغير معقول، وكما قلت انت بنفسك، ان احمل مؤهلات علمية رفيعة واعمل في مهنة الصحافة...

اصبحت لورين في موقف لا تحسد عليه. لقد نجح جان في السيطرة على نوع العلاقة التي باتت تربطهما. كانت ذليلة خجلة وتتمنى لو تنشق الارض لتبتلعها.

- ولكن... ولكن لماذا عملت في الصحافة؟

- لماذا اخترت الصحافة؟ ولماذا لم اتابع حياتي العملية في وظيفة تتطلب مؤهلات علمية كمؤهلاتي؟ ساخبرك بالتفصيل.

اخرج سيكارة واشعلها بيد متوترة، وببطء اكيد سحب نفساً عميقاً منها قبل ان يتابع حديثه. كانت لورين تتابع حركاته وسكناته وهي لا تصدق ما تسمع.

- بعد تخرجي مباشرة، التحقت بسلك التعليم يا آنستي. اعتقدت ان ذلك سيكون مفاجأة لك. بقيت اعلم سنتين اصارع الصبية الأشرار غير المطيعين وسيئي الخلق ولم احتمل اكثر. لم احتمل الجو الصارم في المدرسة التقليدية والنظام المحافظ. ومن المفارقات التاريخية انني لم احتمل نظرة الزملاء الضيقة امثالك يا آنسة فارس، وهي تضيق في مواد التعليم المقررة اكثر مما ينبغي. المعلمون امثالك يرفضون للهواء النظيف والآراء الجديدة ان تتناول مواد التعليم او وسائل وطرق التعليم. يوماً ما يا آنسة فارس (نفخ دخان سيكارته في الهواء) ساعطيك درساً في كيفية تدريس اللغة الانكليزية الحديثة... اي طرق ووسائل التعليم في الحقبة الاخيرة من القرن العشرين. يمكنك الحضور الى الكلية التقنية في الاسبوع المقبل والاستماع الى محاضرتي التي سألقيها على تلاميذ المدرسة الليلية وربما تستفيدين من بعض المعلومات او الارشادات الهامة، ليس فقط لتحسين معلوماتك في اللغة بل ايضاً لتحسين وسائل وطرق تدريسك.

انهى جملته الأخيرة وقفز بسرعة ذاهباً الى غرفته، تاركاً خلفه فتاة مشدوهة متحجرة تسمرت في مكانها لا تعي ما حصل لها.

في غرفة الطعام في المدرسة التقت لورين صديقتها آن وسألتها:
- كيف حال قلبك؟
- قلبي؟ انه في مكانه ويضرب ضربات منتظمة... لقد اخفتني...
- ربما كان علي ان اسأل عن مغامراتك... كيف تسير؟
- لقد أثرت فضولي وهذا سيء جداً للقلب... اخبريني اي مغامرة تقصدين ومع من؟
- غرامك مع جان داربي بالطبع!
ضحكت آن كثيراً وقالت:
- لا يمكنك ان تكوني جادة. لا يجمعنا حب ما بالرغم من الشائعات التي تدور حولنا.
- ولكنه اخبرني انكما متفاهمان.
عبست آن بعد ان سمعت تعليق لورين وقالت:
- انني اعرف ماذا يقصد ولكنني لست متأكدة اننا متفاهمان كما يقول.
- اذن انتما صديقان؟
- لا. لسنا صديقين!
- ولماذا يصر ان ترافقيه في مواعيده؟
- الحقيقة بدأت اشك في هذا الأمر. ربما يستغلني كطعم ليصطاد سمكة اخرى.
- تقصدين مارغو فرنش...
- ربما... ربما...
- هل يريد من وجودك معه ان يحمل مارغو على الغيرة منك؟
- ربما... ربما...
نظرت آن اليها نظرة تنم عن انها غبية حتماً. ثم تابعت:
- انت تعرفين يا لورين انني سارافقه غداً الى معرض السمعيات في لندن. سأكون في موضع حرج للغاية. لا اعرف اذا كنت صديقة هوغ او رفيقة جان. الرجلان سيقتتلان للفوز بالفتاة اللعوب مارغو وفي النهاية سيكون الرجل المغلوب من نصيبي...
- وهل لديك مانع؟
- مانع؟ لا يا صديقتي فأنا استمتع بوقتي كما انني محصنة ضد الغيرة وانا

في عمري... انا لم اكن راغبة ابداً في الزواج ولذلك افضل العلاقة السهلة والشاب الوسيم لأمضي برفقته ساعات مسلية ليس الا... لم تكن لدي اهداف للزواج في يوم من الأيام. لا تهتمي لأمري. لقد اشتريت للمناسبة بدلة جديدة لأنافس بها مارغو في الأناقة... بالمناسبة، لماذا لا تحذين حذوي وتشترين لنفسك ثياباً جديدة؟ خذي نصيحتي ولا تجعلي من نفسك الفتاة الرثة الثياب والمحافظة المتزمتة... ستندمين بقية عمرك... علينا ان نقلد مارغو ونعتني بأناقتنا ... وانا صادقة في نصيحتي لك.

ـ ربما من الأفضل ان اعمل بنصيحتك.

ـ هذا افضل. اسرعي. سأتأكد من تنفيذك هذا الوعد.

في المساء التقت لورين بجيمس كارنيش في المطبخ. رجل نحيل شعره رمادي ووجهه بشوش ومرح، شخصيته مرنة وسهل التعامل مع الآخرين، وربما يكبر والدتها بسنوات قليلة. امسك بيدي لورين بحنان وطلب منها ان تقبله على وجنتيه كما قبلها هو على وجنتيها. ابعدها عنه قليلاً ومدح جمالها وانوثتها وأثنى على اخلاقها وعقلها ثم وضع ذراعه حول كتفي بريل وقال:

ـ فتاة رائعة. كم انت فخورة بها!

عندما غادرا البيت كانت السعادة بادية جلياً في وجهيهما مما جعل لورين تحزن على نفسها، خوفاً من ان تذبل وتذوي في اوج شبابها.

وصلت آن اولاً الى البيت. اليوم هو السبت موعد المعرض. دخلت غرفة الطعام لترى لورين بدلتها الجديدة الزرقاء.

ـ انظري يا لورين الى بذلتي الجديدة. لقد اشتريت ايضاً قفازات وحذاء وحقيبة يد. لن ارتاح قبل ان اراك اشتريت لنفسك اثواباً جديدة. (ونظرت الى شعر لورين) لماذا لا تسدلينه بدلاً من عقصه في هذا الشريط الى الوراء؟ اتركيه ينساب كالشلال على كتفيك.

ـ لماذا يا آن؟ لا احتاج ان ابدو جميلة لأي رجل!

وصلت بعد ذلك مارغو وتبعها هوغ. صعدوا جميعهم الى غرفة جان وسمعت لورين ضحكاتهم ومناقشاتهم واصوات كؤوسهم وتسامرهم. بقيوا حوالي نصف ساعة ثم نزلوا ووجهتهم المعرض في لندن. كانت لورين تراقبهم مغمومة. نزلت مارغو وهي ترتدي قبعة بيضاء كبيرة فوق طقم

ابيض واخضر. كانت تمسك بهوغ يداً بيد. ثم نزلت آن وتبعها جان. كان يحمل كتاباً بيده. تقدم من لورين وقال:

ـ هذا كتاب يتناول وسائل تعليم اللغة الانكليزية الحديثة، اقرأيه يا آنسة فارس ومتى انتهيت منه اعيديه الي.

امسكته لورين بتأن، كأنها تستلم ماسة ثمينة وشكرته. ابتسم لها ابتسامة راضية وغادر المنزل.

وفي طريقهم الى السيارة كانت مارغو متأبطة هوغ من جهة وجان من جهة اخرى، بينما آن تتبع واجمة.

شعرت لورين بغصة. تزمتها يجعلها بعيدة عن الصداقة. تصرفات مارغو معيبة ولكن آن بالرغم من عدم موافقتها على تصرفات مارغو، تبدو سعيدة في رفقة جان.

نزلت لورين بعد الظهر الى السوق، سحبت معظم مدخراتها وهرعت تجوب المخازن بحثاً عن الأثواب الجديدة.

يوم الأحد رغبت لورين ان تنفرد بنفسها بعد الغداء لتقوم بنزهة في الحديقة العامة. اخبرت والدتها بذلك. قالت بريل:

ـ كم انت انيقة يا حبيبتي في ثيابك الجديدة. هذا البنطلون الأحمر يليق بك وكذلك الجاكيت الصوفي. من أين اشتريتها وبكم؟

ـ لقد صرفت الكثير من حساب التوفير. اقنعتني صديقتي آن بضرورة تجديد ثيابي.

ـ لا بأس. عما قريب يزداد حساب توفيرك من جديد.

فتح جان باب غرفته ويبدو انه سمع ما دار بينهما من حديث.

ـ وداعاً يا ماما. تمتعي بوقتك مع جيمس!

خرجت واغلقت الباب.

كانت الحديقة العامة شبه فارغة. صعدت لورين التلة وهي تتنفس ملء رئتيها من الهواء النظيف وتقول في نفسها... ما اجمل الحرية. عبت من الهواء النظيف ما طاب لها وحتى الثمالة، كما قلبت ناظريها في المناظر الخلابة حولها والعشب الذي غطى الارض ببساطه الأخضر.

مرت طائرة فوقها تهدر وتصرخ كأنها تقول لها: انت وحيدة ... وحيدة. وضعت لورين يديها في جيوبها وضربت الأرض برجليها. كان

عليها ان تواجه الحقيقة وتعيش معها. هي تحب رجلاً ولا امل من حبه. لن تفوز به ابداً لأن منافساتها الجميلات لن يتركن لها المجال. ستعتاد ان تكون الخاسرة في معركتها مع الرجل فهي لا تملك من المؤهلات الانثوية ما يؤملها بالفوز.

نهاية شهر تشرين الأول/ اكتوبر والطقس دافىء نسبياً، والشمس بعد الظهر خفيفة الحرارة. تمددت لورين تحت شجرة كبيرة خالية من الأوراق بعد ان تساقطت في فصل الخريف، ولكن اغصانها تطاولت عالياً الى السماء. تمددت على بطنها وارجحت رجليها في الهواء كما يفعل الصغار، ثم وضعت ذراعيها تحت رأسها كالوسادة ونامت فترة طويلة في هدوء وسكينة.

سمعت وقع اقدام تقترب منها بقوة وعزم. كانت الأقدام تقترب تدريجياً من موضعها. كادت تصرخ عندما توقفت الاقدام عن متابعة السير قربها لأنها لا تريد ازعاجاً من احد.

- آنسة فارس؟

حركت رأسها نحو الصوت ورأت الرجلين الكبيرتين والبنطلون العادي والكنزة ذات الياقة العالية يطل منها رأس جان دون ان يبتسم.

- أليس هذا يوماً جميلاً يا آنسة؟

هزت رأسها موافقة.

- ودافئاً؟

ارتجفت ثم هزت رأسها من جديد.

هل تستطيع ان تطرده لتبقى في وحدتها الهانئة؟ هل من الممكن ان يترك لها صفاء ذهنها ويكف عن تعذيبها؟ ان يتركها وشأنها؟

جلس قربها على العشب. ابتعدت عنه بعصبية والتقطت بعض اوراق الشجر من على الأرض وسحقتها بشدة واضطراب. عقد لسانها ولم يقو على الحركة داخل فمها. احست بضعفها واستكانتها اكثر من اي وقت مضى. هي لا تجرؤ على التعامل مع الجنس الآخر وخاصة مع هذا الرجل. ليس عندها ما يسحره او يجذبه... لا تستطيع ان تحدثه حديثاً مرحاً لتجعله يضحك معها. هي لا تعرف الثرثرة ولا يمكنها ان تغازله بنظرة وتجعله يتمنى ان يلمسها او يعانقها... انها فاشلة كامرأة... فاشلة في اجتذاب الرجل اليها... لا يمكنها ان تعطيه اي شيء. وهو حتماً يعرف كل ذلك

فلماذا لا يتركها ويرحل عنها؟ سمعت حركة قربها. جزعت وجمدت في مكانها. التفتت اليه. كان قد تمدد كلياً فوق الارض بالقرب منها. بقيا على هذا الحال فترة طويلة.

- ماذا تقصد؟

استدارت لتواجهه وقد فتحت عينيها الواسعتين:

- هل نحن متخاصمان؟

- لا. لا يوجد لدي ما اقوله.

- حسناً. دعيني افتش عن موضوع للحديث. عادة لا ينقصني الكلام. (حك رأسه عمداً) آه. هل القيت نظرة على الكتاب الذي اعرتك اياه البارحة؟

- نعم. لقد قرأته.

رفع رأسه مستغرباً:

- هل انتهيت من قراءته؟

- نعم. لم يكن لدي ما افعله!

- بقيت لوحدك كل النهار.

- نزلت الى السوق لبعض الوقت.

بقيا صامتين فترة طويلة.

- ما رأيك في الكتاب؟

- احببته كثيراً.

- حسناً. يجب ان نناقشه سوياً في يوم من الأيام.

كانت لورين متأكدة من انه لا يقصد ما يقول ولا يمكنه ان يفي بوعده. كيف تناقشه رأيه في هذا الكتاب اذا كان لا يسمح لها حتى بدخول حديقته كما اخبرها بنفسه؟ هل من الممكن ان تكون حديقته بعيدة جداً عن متناولها؟ هل هي جنة عدن الموعودة؟

ران الصمت بينهما من جديد وبقيت لورين بالقرب منه. قال:

- جاء دورك في الكلام.

ادارت رأسها وقالت:

- اوه. (ضحكت) حسناً. كيف امضيت وقتك في المعرض السمعي؟

- شكراً. لقد تمتعنا كثيراً ولكن آن تعبت من كثرة المشي واحست ان

رجليها قد انعدم الاحساس بهما من شدة التعب.
ضحكت لورين.
ـ نعم. هذه هي آن. (صمتت قليلاً ثم سألت من جديد) ومارغو؟
ـ مارغو تستمتع بكل شيء. لديها مقدرة فائقة على العطاء وفي هذه الحياة ينال الانسان بقدر ما يعطي...
قالت لورين في نفسها...
ـ هذا صحيح... انا لا اعطي شيئاً ولذلك لا احصل على اي شيء بالمقابل.
قال جان:
ـ في منتصف الطريق تبادلنا الصديقات...
ضحكت لورين كثيراً. سألها جان عن السبب...
ـ كما يتبادلون الزوجات؟
ـ آه. نعم. (استدار ليواجهها بقربه اكثر من ذي قبل) هل تروق لك هذه الفكرة؟
ـ تعني تبادل الزوجات؟ (هزت رأسها نفياً) بالتأكيد لا.
ـ وعندما تتزوجين ستخافين على زوجك لنهاية العمر؟
ـ بالطبع اذا كان رجلاً طيباً. ولكن بالنسبة الي لن تكون لدي مشكلة من هذا النوع، لانني واثقة من عدم الزواج. فانا لا املك المؤهلات الضرورية المرغوبة في الزوجة.
وقف جان للحال وقال بنزق:
ـ حان وقت العودة.
امسك بيدها وساعدها على النهوض وتمشيا نزولاً الى اسفل التلة. اوقفها جان ووضع يديه على كتفيها برفق وحنان وخافت لورين واحتارت بانتظار ما سيفعل... نظر الى وجهها الخالي من المساحيق ثم مر بيده الى خلف عنقها وبسرعة حل الشريط الذي يربط شعرها، وللحال انسدل على كتفيها وخديها. حاولت ان تبعده الى الخلف بيد مرتجفة ولكنه منعها من ذلك قائلاً:
ـ لا. اتركيه مسترسلاً هكذا الى الأبد.
وضع الشريط في جيبه.

ـ ارجوك اعطني الشريط.
ـ لا. من غير المعقول ان تفسدي شكلك على هذا النحو. . .
اكملا نزولهما بهدوء. قال:
ـ انت لست ثرثارة.
ـ اذا كنت لا تسر برفقتي يمكنك ان ترحل. انا لم ادعك لمرافقتي. انني آسفة، فانا لا استطيع ان اسحرك بحديثي مثل مارغو.
لم يجب بكلمة واحدة بل احست لورين طيف ابتسامة خفيفة تعلو شفتيه.
ـ هل نسيت انني مملة ومعلمة مدرسة محترمة ومتزمتة؟
اغلق جان فمها بيده. كادت ان تعضه ولكنها افلتت منه وركضت هاربة.
وعندما وصلت الى البيت فتشت عن شريط جديد عقصت به شعرها الى الخلف واستراحت قليلاً فوق سريرها تحاول ان تستعيد رباطة جاشها وتوازنها. ماذا حصل لها؟ لماذا هي مرتبكة تشعر بتوتر لم تعرفه من قبل؟ اين هدوء اعصابها وراحة بالها؟
مشت في الممر تريد السلالم لتنزل الى غرفة الجلوس. كان جان قد وصل ايضاً الى الممر. مرت امامه باتجاه السلالم فما كان منه الا ان سحب الشريط من شعرها بسرعة فائقة وعاد شعرها مسترسلاً فوق كتفيها. التفتت اليه والشرر يتطاير من عينيها وقالت:
ـ اعطني الشريط.
ـ لا. انها جائزة لي (قال ساخراً) لن ادعك تعقدي شرائط في شعرك من جديد.
ـ ساجمعه الى الخلف بواسطة الدبابيس.
ـ سأسحبها واحداً واحداً من شعرك.
ـ وهل سأقف امامك واتركك تفعل ذلك؟
ـ لا تستطيعين منعي. . . لدي وسائلي الخاصة (واكمل بلطف وخبث) ومن قال اننا سنقف؟
ضحك ضحكة خبيثة اشعلت نار الغضب في كيانها. وخرج الأمر من يدها فجمعت قبضة يدها وشرعت تضربه على صدره بقسوة. امسك

بيديها وابعدها عن صدره وهو يقهقه. ارادت ان تستعمل اسنانها اورجليها او حتى اظافرها... حاولت الافلات من قبضته الفولاذية، وكلما زادت من صراعها ضده كلما احكم قبضته حولها اكثر من السابق وبدأت دموعها تتساقط...

توقفت عن الصراع. وتركها على الفور. تمتمت معتذرة ثم اكملت سيرها الى الطابق السفلي. لقد تخطت العتبة ودخلت الى بحر من الأمواج العاتية. خافت من لهيب عواطفها واحاسيسها الجديدة. لقد حرك جان كوامنها بشكل لم تعهده من قبل. وتركها ودخل غرفته وهو يحمل شريط شعرها في يده.

٤ - حبي لك يشبه وردة حمراء

كانت لورين تجلس في غرفة الطعام تصلح دفاتر الانشاء لتلاميذها.
دخل جان دون استئذان وسألها:
- هل انت مشغولة؟
- هذا واضح، اليس كذلك؟

وقف خلفها يطل فوق كتفيها وبدأ يقرأ في دفتر تلميذة صححت لها لورين واعطتها علامة كاملة. كان جان يقرأ ويده تمر فوق شعرها المنسدل حول كتفيها... لقد تركته مسترسلاً بعد ان اعياها عقده بشرائط لكثرة ما عاكسها جان... واخيراً استسلمت للفكرة.

ابعدت لورين يده بنزق من فوق شعرها. نظر اليها جان نظرة ساخرة وهو يبتسم ابتسامة غامضة. كان واثقاً مما يفعل... وقد لاحظت لورين تغيراً في الاستراتيجية المتبعة. لقد انتهى من فترة ابعاد اصدقائها عنها، وبدأ خططاً جديدة.

كلما اقترب منها احست شعوراً جديداً يخيفها. هي لا تستطيع ان تتحمل قربه منها لما يثيره فيها من احاسيس غريبة عليها. قربه منها يجعلها مرتبكة وعصبية وبالتالي يختل توازنها وهدوء بالها، وهي لا تستطيع ان تفعل اي شيء حيال هذه الاحاسيس التي يثيرها في داخلها.
- لقد اعطيت هذا الانشاء علامة كاملة!
- نعم. اعتقد انها جيدة.
- هل تعرفين كيف اصححها؟ (اخذ القلم من يدها وبدأ) هكذا... (شطب بعض الكلمات) وهكذا (حذف جملة هناك) واسلمها للفتاة لاعادة

كتابتها. (ترك القلم) عليها اعادة صياغتها من جديد. لغتها بغيضة ووحشية.
اخذت لورين ممحاة في محاولة لاعادة الانشاء كما كان وقالت معترضة:
- انظر الى هذه الفوضى. لو تهتم بشؤونك فقط وتتركني اهتم بعملي!
وبدلاً من ان يدافع عن نفسه سحب كرسياً الى الطاولة وجلس عليه:
- اعطيني انشاء آخر.
وضعت لورين يديها فوق الكراسات تحميها وقالت بعصبية:
- لا يحق لك ان تلمسها. هذا عملي وانا اصلحها وليس انت.
- حسناً. اعدك بأن لا اكتب عليها بالقلم ولا احذف منها ولا كلمة... مع انني ارغب كثيراً في ذلك. ولكن ارجوك اسمحي لي بقراءتها. انا لم اقرأ ما تكتبه المراهقات منذ سنوات، وهذا يفيد روحي وينعش ذاكرتي (مد يده راجياً ان تسمح له) ارجوك. لقد وعدتك...
وبعد تردد سمحت له لورين بقراءة المواضيع الانشائية التي كتبتها الطالبات في صفها. اقترب بكرسيه من لورين ولكنها حاولت ان تبتعد عنه. ترك ذراعه تلامس ذراعها وحين لم تعد تحتمل قربه بدأت تبتعد من جديد، ولكنه ربط رجليه برجل كرسيها ومنعها من التحرك بعد ان امرها:
- ابقي ساكنة ارجوك. اريد ان اركز تفكيري في القراءة. آه. هذا مجهود جبار. (قلب الصفحة وقرأ العلامة المتدنية التي وضعتها لورين) ماذا؟ انت حتماً بدون تفكير يا امرأة... هذا الموضوع الانشائي ممتاز.
- وكيف ذلك؟ التراكيب خاطئة والقواعد رديئة واللغة عادية ومستعملة في حياتنا اليومية، لغة الشارع. لقد تجاهلت جميع القوانين المرعية في كتابة موضوع انشاء...
- انظري اليها من جديد. انها تستعمل لغة حديثة لاذعة وتعابيرها مستجدة. انها اللغة التي نسمعها حولنا كل يوم. لقد صممت انت اذنيك عن سماعها بارادتك.
- ولكن اللغة المحكية لا يمكن ان نستعملها في كتابة الانشاء. تراكيبها مفككة ومزرية.
- ولكني اعتقد انها جيدة بل مبتكرة وغير عادية. هذه الفتاة تكره الطرق التقليدية في التعليم ولا تريد اتباع الوسائل القديمة التي تشربينها لهن كدواء

فاسد مر عليه الزمن. انني مستعد ان امنح هذه الفتاة وظيفة مراسل مبتدىء في جريدتي اذا تقدمت تطلب عملاً...

بدأ جان يقرأ موضوعاً آخر. قال:

- هذا القول غير صحيح. الا تصرين على كتابة الحقائق؟ اول قواعد الكتابة الصحيحة هي كتابة الحقائق.

- ولكنني معلمة لغة وانا لا اهتم بالحقائق قدر اهتمامي بالخيال وصحة التعبير عن الرأي.

- اي رأي؟ عليك تلقينهن الحقائق كلها ومن ثم يتكون لديهن الرأي الصحيح.

هزت رأسها متعجبة:

- لقد اعطيتهن الحقائق المتعلقة بكتابة الموضوعات الانشائية والمقالة، واذا اثرت موضوعاً يحرك عقولهن وتفكيرهن فان الاهالي يتساءلون عن السبب وربما يعتقدون ان مستوى المدرسة قد بدأ ينحدر، وربما يعتقد البعض ان هذا الموضوع يعود لانحدار في اخلاق المعلمة بالذات، وربما يرمي حولها ظلالاً من الشك.

- اذن، عليك تثقيف الاهالي اولاً. اليس كذلك؟ (نظر اليها متشككاً) طريقتك في تصحيح المواضيع الانشائية تشير الى مقدار ما ينقصك من شجاعة كمعلمة للغة الانكليزية. لقد قرأت الكتاب الذي اعرتك اياه ولكن شجاعتك الادبية ليست كافية بما يسمح لك بتطبيق نظرية واحدة جديدة.

احمر وجهها خجلاً وهو يراقبها عن كثب:

- انت تشبهين المعلمين الذين جعلوني اهرب من مهنة التعليم. لم احتمل شدة تعصبهم وعدم استعمال عقولهم وتزمتهم.

ضربت لورين يدها على الطاولة بحركة عصبية غاضبة. لم تعد تحتمل استفزازه وتهجمه عليها.

- يمكنك ان تخرج وتتركني وحدي.

بدأت لورين تفقد ثقتها بنفسها. وسائل التعليم التي تتبعها اصبحت لا تفي بالقبول واهتزت مبادئها جملة وتفصيلاً. احست ان كل شيء قد اختلط في عقلها.

ـ عندما انتهي من عملي معك سأخرج. (ابتسم وهو يرى كراهيتها واضحة في عينيها) ما هذا؟ (مد يده وامسك بمقالة كتبتها لورين) مقالة (قرأ اسم الكاتبة وابتسم بخبث ظاهر) موضوع من تأليف معلمة اللغة الانكليزية نفسها (فرك يديه) سيكون مسليا للغاية.

ـ هذا المقال مطلوب من مجلة المدرسة. (حاولت ان تهرب المقال من بين يديه عبثاً. ضحك كثيراً وهو يقرأ) وانت مديرة التحرير. حتماً انها قصة العام.

ـ لا اسمح لك بقراءته!

ـ لا بأس فانا لم اسألك السماح.

بدأ يقرأ وهي تتقوقع قربه خجلا. قرأ المقال حتى النهاية وهي صامتة تنتظر ردة فعله او تقييمه.

سألته بلهفة:

ـ هل هو جيد؟

ـ وماذا استطيع ان اقول؟

ـ اذن المقالة رديئة!

ضحك كثيراً لتلهفها. كانت كطفلة صغيرة تنتظر بعض التشجيع.

ـ نعم. (مد يده ليمسك بالقلم: انها رديئة. هذا ما كنت انتظر. ولكن الآراء جيدة ومبتكرة. (بدأ يشطب بالقلم جملة هنا واخرى هناك، يحذف ويبدل ... واخيراً رفع حاجبيه وسألها): هل استطيع تصحيحها؟

هزت لورين رأسها موافقة. كانت تعلم ما الذي سيحصل للمقالة.

ـ عندما انتهي لن تتعرفي الى مقالتك...

كان جان يعمل بموضوعية فائقة. يحرك القلم ويغير في ترتيب الكلمات في كل جملة. كانت كالمريض يشاهد عملية جراحية تجرى له ... راقبته وقرأت ملاحظاته القاسية في الحواشي. كانت واثقة انه تعمد جرحها قدر المستطاع ولكنها لم تحس الم الجراح. واخيراً ناولها المقالة بعد ان انتهى من عملية التصحيح وعادت لكامل احاسيسها من جديد.

لقد تحسنت المقالة اكثر مما انتظرت. نظرت اليه محدقة لا تصدق نظراته الساخرة وهو يقول:

ـ هل ستسامحينني على فعلتي؟ (مشى نحو الباب) بعد تفكير، اريد

الخروج من هنا قبل ان انال نصيبي من الاهانات الضارية. لقد قررت ان اقاضيك امام المحاكم لكثرة استعمالك الشتائم والاعتداءات على شخصي.

ابتسم جان ابتسامة عريضة ثم غادر الغرفة.

كانت لورين تستعد لزيارة صديقتها آن لمساعدتها في تقصير ذيل فستانها. ارتدت تنورة جديدة واسعة وفوقها كنزة بيضاء ذات ياقة عالية.

دخلت والدتها الى غرفتها وسرت من شكلها الجديد. وقالت:

- انت جميلة وجسمك متناسق وهذه الكنزة الجديدة تبرز معالم جمالك. لماذا لا تضعين بعض المساحيق على وجهك؟

وللحال باشرت لورين بوضع بعض مساحيق التجميل على وجهها من ظل للعينين وبعض الكحل حول العينين ثم رشة بودرة خفيفة على الوجه. ثم خططت بقلم الحواجب فوق حاجبيها وبدأت تمشط شعرها وترتبه.

فتح جان باب غرفته ونادته بريل على الفور طالبة منه الحضور:

- تعال يا جان الى غرفة لورين وانظر جمال ابنتي!

- لماذا يا ماما؟

ولكنه حضر على الفور ولم ينفع اعتراض لورين.

مد جان رأسه الى داخل الغرفة وابتسم بمكر وهو يراقبها ترتب شعرها الأملس المنسدل باغراء حول كتفيها.

- استديري يا لورين ليراك جيداً.

بدت تعابير وجه جان شبيهة بما شاهدته اول مرة عندما خطا على عتبة البيت. تفحصها ملياً... حللها وجزأها ثم اعاد تركيب اجزائها خلال ثوان قليلة. وجدت لورين صعوبة في تفسير نظراته. خجلت واحمرت وجنتاها واستدارت من جديد تواجه مرآتها وتكمل ترتيب نفسها.

- هناك انقلاب كلي وتحول سحري وتغير ظاهر.

نظر جان الى داخل الغرفة يتفحص محتوياتها. نظر الى سريرها وخزانتها وطاولة الزينة وما تحويه من ادوات تجميل وسأل:

- هل ستخرجين؟

قالت بريل تجيب بالنيابة عنها:

- ستخرج لزيارة صديقتها آن.

ـ بلغيها حبي.
ثم خرج على اعقابه.
وصلت لورين لعند آن واستقبلتها صديقتها مهللة ومرحبة بانحناءة تمثيلية وهي تطري اناقتها وجمالها وقالت:
ـ انت فتاة مختلفة عما تعودت. بدأت تنافسين مارغو في اناقتها وترتيبها. هل هناك تغير في منزلكم؟
فهمت لورين قصدها. احمرت وجنتاها خجلاً قبل ان تجيب قائلة:
ـ لقد قال انني تحولت وتبدلت...
ـ هل قال ذلك... لقد لحظ شكلك الجديد. نصحتك ونفعت معك النصيحة وادت الى نتائج ملموسة.
ـ ولكنه حتماً لا يعني بكلامه اي شيء يا آن... هيا دعينا ننتهي من خياطة ذيل الفستان فهذا هو المهم الآن.
صعدت آن فوق طاولة صغيرة واستدارت ببطء. بدأت لورين تشبك الذيل بدبابيس صغيرة للطول المطلوب. وبعد ان انتهتا من عملهما صنعت آن بعض الشاي وشربتاه سوية ثم عادت لورين الى بيتها وتركت آن لتكمل خياطة فستانها.
دخلت لورين البيت وسمعت موسيقى تنساب برفق من غرفة جان. كانت المقطوعة هي سمفونية العالم الجديد من تأليف دفوراك وهي من القطع الموسيقية التي تحبها كثيراً. وقفت بالممر امام غرفته تستمع صامتة دون حراك. انخفضت الموسيقى بشكل ملحوظ وتحركت لورين فوق الأرضية الخشبية فصدرت بعض الاصوات والاهتزازات في الارضية. حبست انفاسها وهي تتمنى ان لا يكون جان قد سمعها، ولكن باب غرفته فتح بسرعة وظهر جان بادي الانزعاج وهو يسأل بعصبية:
ـ ماذا تفعلين عندك؟
ـ آسفة. كنت اسمع القطعة الموسيقية.
بدأت السير باتجاه غرفتها ولكنه تبعها وامسك بها وجذبها الى داخل غرفته دون ان تدري ماذا يحصل. ثم اغلق الباب وراءها واجلسها على كرسي مريح وقال:
ـ اصمتي الآن ودعيني اسمع الموسيقى...

اغلق جان عينيه وسرح مع الموسيقى بينما لورين تراقبه قلقة مرتبكة. بدا صامتاً رزيناً وطيباً للغاية. عاد الصبي الهادىء كما تصفه والدته... ولكنه اصبح رجلاً هادئاً بل الرجل المثير في حياتها. الرجل الذي يثير ويحرك عواطفها اكثر من اي رجل في العالم... فتح جان عينيه ونظر اليها نظرة مطولة كأنه يقرأ افكارها.

ادارت لورين رأسها الى الناحية الاخرى لتتحاشى نظراته النفاذة. تمنت لو ترتمي بين ذراعيه وتطلب منه ان لا يبتعد عنها ابداً، ولا يسمح لها ان تخرج من حياته. تمسكت بكرسيها وتحركت بقلق ظاهر... وصلت المقطوعة الموسيقية الى نهايتها ولكنها لم تستطع ان تسترخي في جلستها او تطرد ارتباكها وتهدىء من تشويش افكارها. انتهت الموسيقى واقفل جان الراديو. نهضت لورين تريد مغادرة الغرفة هاربة. قال جان برقة واضحة:

- لا. لا تذهبي. اريد ان اسمعك هذه الاسطوانة. انها اغنية شائعة جميلة الموسيقى تدعى، حبي يشبه وردة حمراء... هل تعرفين الأغنية؟

هزت لورين رأسها موافقة.

- كتب كلمات الأغنية الشاعر روبرت بيرنز اريدك ان تأخذي بالك من كلماتها الجميلة.

ادار الاسطوانة وانساب اللحن المغني يقول:

انت يا فتاتي حسناء جميلة
وانا غارق في حبك
سأحبك اكثر يا حبيبتي
سأحبك حتى تجف مياه البحار
حتى تجف مياه البحار يا حبيبتي
سأحبك حتى تذوب الصخور تحت اشعة الشمس
سأحبك اكثر يا حبيبتي
سأحبك ما دامت الحياة تنبض في عروقي...

اغمضت لورين عينيها وهي تستمع بكل جوارحها الى الأغنية العاطفية الجميلة. وحين انتهت الأغنية فتحت عينيها والتقت نظرات جان وهو يبحث في تعابير عينيها ليقرأ احاسيسها الداخلية. ارتبكت حين التقت عيناها عينيه واختل توازنها. حاولت جاهدة ان تستعيد رباطة جأشها

وهدوء روحها . . . توقف قلبها عن الحركة بعد ان ضرب ضربات عنيفة .
ران صمت ثقيل يشبه السحر، واذا به يقطع الصمت قائلاً بلهجة تهكمية :
ـ كلمات الأغنية تشيد بالاخلاص . . . كما تؤمنين انت حين قلت انك ستخلصين للرجل الذي ستتزوجين (مال نحوها وقال) اسمعيني مرة ثانية رأيك في هذا الموضوع .

رددت لورين طائعة وكررت كلماتها على مسمعه قائلة :
ـ لو تزوجت سأخلص لرجلي طوال حياتي معه . . . اذا كان رجلاً طيباً .

هز جان رأسه موافقاً وغرق في كرسيه مرتاح البال .
ـ ولماذا تريدني ان اكرر رأيي عليك؟
ـ لماذا؟ لأن ذلك اصبح عملة نادرة . فتيات هذا العصر لا يؤمن بهذه المبادىء . وفي السنوات المقبلة، واذا كنت لا ازال على معرفة بك، ربما سأذكرك برأيك هذا واجبرك على الاخلاص والوفاء للرجل الذي ستختارينه زوجاً لك . . .
ـ وانت . . . الا تزال تدخل الفتيات الحسناوات الى حديقتك وتعتني بتربيتهن . . . ثم تقطفهن عندما يزهرن وينضجن وبعد ذلك ترميهن . . .
ـ تماماً . اقطفهن حين يزهرن . . .
ـ كم انا مسرورة لأنني لست زهرة في حديقتك . . .
ـ لا . لن تكوني زهرة في حديقتي ابداً . مبادئنا في العشق لا تتشابه .

وابتسم ابتسامة ساخرة :
ـ ولكنني كما تعرفين صحافي . وانا لا اختلف عن زملائي الصحافيين . نحن شياطين دون اخلاق او مبادىء . . .

حاولت النهوض لتخرج وتحتمي في غرفتها ولكنه منعها قائلاً :
ـ هل تشاركينني شرابي؟
ـ لا بأس . سأشرب كأساً من شراب الكرز .

فتح زجاجة الشراب وصب لها كأساً وناولها اياها قائلاً :
ـ لا تجزعي فانا لا خطط لدي للنيل منك . (ونظر اليها نظرة حالمة) مع ان الفكرة تراودني . . . تخيلي لو حصل ذلك، ستصدر صحف المساء بعناوين عريضة تتصدر الصفحة الأولى . ستكون قصة الموسم (عاد لجديته وسألها) اخبريني عن المدرسة .

سردت له لورين ما طرأ على خاطرها حول احوال المدرسة والتعليم. كانت مسرورة جداً لانها دخلت غرفته واستمعت الى الموسيقى معه ودعاها لمشاركته الشراب وتجاذب واياها اطراف الحديث... تماماً كما فعل مع اصدقائها من قبل. لقد استمتع برفقتها وتقبل صداقتها... ولكن ربما يكون قد اختار بينها وبين ان يمضي امسيته وحيداً، ضجراً. وجودها يبدد من ضجره وحسب.

قالت:

- المدرسة قديمة البناء وتتميز بالمحافظة على التقاليد في طرق التعليم. مديرة المدرسة امرأة مسنة تحاكي عمر البناء المدرسي في قدمه (ضحك كثيراً) وتلميذاتها فتيات يانعات جميلات. لقد دربن افضل تدريب.

- هل تدربن في العقل والجسم، العقل السليم في الجسم السليم؟

- هذا صحيح.

- تدربن على التقليد دون الابتكار.

هزت رأسها موافقة واخفضت رأسها وهي تفكر بجملته الصحيحة.

- النظام المدرسي الصارم لم يتبدل منذ نصف قرن.

- وربما سيبقى على حاله للنصف المقبل.

- صحيح. ان المعلمين والمعلمات يتمتعن بنظرة ضيقة للحياة. لا خيال او بعد نظر...

- نعم. جميعهم من طينة واحدة. عقول صغيرة وخيال مفقود.

- كما كنت قبل ان اعرفك.

احست لورين بما يرمي اليه في كلامه. الآراء التي تفوهت بها هي اراؤه وافكاره وتعاليمه. لقد تمكن من تغييرها بمهارة فائقة ودون ان تدري اصبحت تتشدق بكلماته وافكاره...

قال:

- قبل ان اعمل على تغييرك. لقد ايقظتك من سباتك وجعلتك تؤمنين بأن الزمن يمشي الى الأمام ويغير كل شيء.... ألست على حق؟

لم ترد عليه. تريد الخروج من قبضته. نظرت اليه وقد بدا الانزعاج جلياً في تعابيره. استدارت بسرعة مودعة:

- مساء الخير يا سيد داربي. اشكرك على الشراب.

انحنى لها انحناءة تمثيلية ساخرة وقال:
ـ مساء الخير يا آنسة فارس. سررت برفقتك. جلوسي معك كان ممتعاً. انت ولا شك مسرورة لخلاصك من براثني سالمة دون اية خدوش، ولكن في المرة المقبلة لن يكون الحال كهذه المرة... لا تنسي انك بصحبة صحافي رديء. أليس كذلك؟
تركته ودخلت غرفتها واغلقت بابها وهي تحاول ان تبعده عن افكارها.
وفي المدرسة، سألتها صديقتها آن قائلة:
ـ هل ذكر لك جان الاحتفال المئوي لجريدته؟ (نظرت اليها لورين نظرة تعبر عن رأيها بالموضوع) ستقيم الجريدة سهرة بمناسبة الاحتفال بالذكرى المئوية لتأسيسها في فندق كبير في المدينة ولقد دعاني لرفقته اليها.
اخفت لورين غيرتها وسألت:
ـ وهل ستذهبين معه؟
ـ لا يا عزيزتي. انا لا احب ذلك. ولقد طلبت منه ان يدعوك بدلاً مني...
ـ وماذا كان رده؟
ـ اوه. لا اعتقد انه سيفعل. لقد ذكر ان الشجار بينكما سجال ولا يريد ان يفسد سهرته تلك بالجدال المكرب... لقد قدم لوالدتك تذكرتين واخبرني ان هوغ سيصحب مارغو الى السهرة وعليه ان يجد زميلة لترافقه...
شحب وجه لورين وحاولت جاهدة ان تتحكم باعصابها وتحفظ اتزانها.
قالت آن:
ـ لا اعتقد يا لورين انك ستفلحين معه... انه ليس من النوع الذي يريد الاستقرار او الزواج.
ـ اعرف ذلك (تنهدت بعمق) وانا اتفهم الموضوع جيداً.
ـ من المؤسف ان هذه هي الحقيقة. وكنت آمل ان تتفاهما... عندما زرته في غرفته كنا نمضي معظم الوقت نتحدث عنك. واعتقدت انه...
ـ ربما لأنني اثير اعصابه وافضل طريقة ليخرجني من تفكيره هي في الكلام علي ولو من وراء ظهري....
عبست آن وقالت بهدوء:

ـ لم يكن الأمر كما تقولين يا لورين. . . (ونظرت الى ساعتها) حان الوقت لندخل الى صفوفنا. . .

حاولت لورين جاهدة ان تحسن طرق تعليمها، وهي في عملها ذلك تريد ان ترضي جان قبل كل شيء. ربما يسر بعملها ويعرف انها ليست معلمة متحجرة متزمتة، بل بدأت تتقبل نصائحه وتقدم لطالباتها اساليب جديدة في التعليم مما يشجعهن على الخيال والابتكار. وهن بدورهن تقبلن طرقها الجديدة برغبة واهتمام، وبدا التفكير الصحيح ينضج في بعض تقاريرهن او مواضيع الانشاء. . .

وفي ليلة تالية بينما كانت لورين تصحح اوراق تلميذاتها قالت لها والدتها:

ـ لورين. خذي تذاكر الحفلة الراقصة بمناسبة الاحتفال المئوي للجريدة، فأنا لا اريدها. لقد سألت جيمس ان يرافقني اليها ولكنه اعتذر عن حضور مثل هذه الحفلات الراقصة. . . الذهاب الى الحفلة يفيدك فأنت شابة صغيرة ونادراً ما تخرجين من البيت في الليل. يمكنك دعوة احد المعلمين معك في المدرسة لمرافقتك.

ارادت لورين ان ترفض عرض والدتها ولكنها غيرت رأيها بسرعة وقالت:

ـ حسناً يا اماه. سأذهب الى الحفلة الراقصة وسأشتري ثوباً جديداً للمناسبة.

فرحت بريل كثيراً بقرار ابنتها وقالت مبتهجة:

ـ كم انا مسرورة لقرارك يا عزيزتي. ستكون فرصة سانحة لك لتتمتعي بوقت طيب وتلتقي الشباب من جيلك.

قررت لورين ان تأوي باكراً الى فراشها في المساء. استعدت للنوم ودخلت سريرها وبدأت تقرأ حين سمعت نقراً خفيفاً على باب غرفتها.

ـ ادخل.

كان جان بالباب. بادرها قائلاً:

ـ ما الأمر؟ لقد اويت باكراً الى فراشك؟

ارتبكت لورين لوضعها وحاولت ان تلف كتفيها بروب المنزل!

ـ ماذا تريد؟ لماذا حضرت الى غرفتي؟

بدأ جان يتفحصها في وضعها المغري حتى اضحى لون وجهها بلون ثوب نومها الأحمر الرقيق.

ـ قبل ان تنامي، اريد ان اتحدث قليلاً معك ايتها الفتاة الحصيفة الرزينة الطاهرة...

جلست لورين في سريرها وجلس جان على حافة السرير، واحاطها بذراعيه بحركة عفوية يريد اثارة اعصابها ونرفزتها. قال:

ـ لا لزوم للخوف. ليس في نيتي الصدام معك رغم ان المكان والزمان مناسبان لذلك (نظر اليها متمتماً) الا اذا رغبت في ذلك...

ضحكت لورين على طريقته في المزاح وشاركها ضحكها وقال:

ـ انت ضاحكة اجمل بكثير مما انت عابسة. والآن اليك هذا الكتاب (دفع اليها بكتاب كان قد جلبه معه) ربما يروقك ايضاً... انه يبحث في امور الصحافة والطباعة والتحرير وهو مؤلف خصيصاً ليفيد طلاب المدارس...

فتحت لورين الكتاب باهتمام وتصفحت فصوله:

ـ انه ممتاز وسيساعدني كثيراً في مهنتي. اشكرك. لقد غيرت كثيراً من طرق تعليمي في صفوفي بعد ان نفذت بعض اقتراحات كتابك السابق.

ـ انظري الى هذا الفصل... انه يتناول مصادر المعلومات والأخبار التي يحصل عليها الصحافي ويشرح بالتفصيل تبويب الجريدة. سيتعرف التلاميذ الى ابواب الجريدة الدائمة وسيكتشفون طرقاً مختلفة لكتابة القصة الواحدة وماهية سياسة التحرير. سيتمكنون بعد ذلك من تقييم الجريدة واهدافها...

ـ سيكون موضوعاً شيقاً للبحث في غرفة الصف وسيشارك الجميع في الرأي.

شاهد جان حماسها واهتمامها وهو يقول:

ـ الصحافة قسم من حياتهن اليومية وسيهمهن التعرف اليها. سيتعلمن كيفية كتابة تقرير عن الحوادث اليومية بكلمات مختصرة وسهلة. كل مراسل صحافي يتعلم الكتابة المختصرة (قال ساخراً) مما يجعل عمل المحرر عملاً شاقاً مميزاً. (صمت قليلاً ثم اكمل) سأحاول ان الخص لك بعض الملاحظات الهامة التي يجب مراعاتها في غرفة الصف... ما رأيك؟

فتح الباب الخارجي وحضرت السيدة فارس من الخارج. صعدت على الفور الى غرفة ابنتها تريد الاطمئنان عليها كعادتها.
قالت لورين:
- ملاحظاتك تلك ستساعدني ولا شك. شكراً جزيلاً.
هز جان رأسه موافقاً وقال:
- طبعاً.
صرخت السيدة فارس وقد فوجئت بوجوده جالساً على حافة سرير ابنتها. قال جان مبرراً وجوده:
- لا شيء مهم يا سيدة فارس، فانا لم اتحرش بابنتك مع انني فعلاً سألتها (قال مازحاً) ولكنها رفضت بالطبع.
ابتسمت بريل وقالت:
- انا لا افكر بك على هذا النحو يا جان، فأنا اعرفك جيداً.
- صحيح. انا مسرور لثقتك الغالية.
- بالمناسبة ان لورين تريد ان تذهب الى الحفلة الراقصة التي ستقام بمناسبة مرور مئة سنة على تأسيس الجريدة التي تعمل بها عوضاً عني. جيمس لا يحب الحفلات الراقصة ولورين ستستمتع بحضورها... أليس كذلك يا صغيرتي؟
هزت لورين رأسها موافقة. قام جان من جلسته في طريقه الى الخارج وقال:
- هذا سيوفر علي عناء التفتيش عن رفيقة. عمتما مساء.
وبعد ان خرج جان، خرجت بريل ايضاً واغلقت باب الغرفة دونها وتركت لورين لتستريح، ولكن النوم جفاها.... وكيف تنام وقد غمرتها الفرحة... سترافق جان الى الحفلة الراقصة كصديقته...
وجدت لورين صعوبات جمة في تبويب مجلة المدرسة وترتيب عناوينها. حاولت بمساعدة آن خلال فترة الظهيرة ولكنهما لم تفلحا. تنهدت آن تعبة وقالت:
- انها ليست كما يجب. عليك طلب مساعدة جان في هذا العمل. اطلبي نصيحته واطلعيه على محاولتنا الفاشلة... لن يتأخر في مد يد المعونة...

لم توافق لورين على طلب اية خدمة من جان، ولكن آن اقنعتها بالضرورة الملحة لهذه الخدمة وقالت:

- في اسوأ الحالات سيرفض مساعدتك. . . لن يأكلك.

وفي المساء بقيت لورين تعمل في غرفة الطعام وتصحيح بعض المواضيع الانشائية في انتظار جان لتعرض عليه ما انجزته في ترتيب مجلة المدرسة. وحين وصل حملت اليه ملف مشروع الجريدة ودخلت غرفة الجلوس. . . دخل جان بصحبة مارغو فرنش. . . ابتسمت مارغو ابتسامة ساخرة وهي تسلم على لورين وتتفحصها بنظرة خبيثة من اخمص قدميها الى قمة رأسها، ثم خطت خطوات كلها غنج ودلال نحو السلالم في طريقها الى غرفة جان. . .

حاولت لورين ان تخفي خيبة املها وهي تعود ادراجها الى غرفة الطعام. شاهدها جان على هذا الحال وسألها عما تريد. . .

كانت مارغو لا تزال في غرفة جان حين صعدت لورين لتأوي الى فراشها. بقيت تسمع ضحكاتها وثرثرتها مختلطة بالموسيقى . . . وفي النهاية غلبها النعاس ونامت قبل ان تغادر مارغو المنزل.

وفي الصباح التالي عاود جان سؤاله لها:

- ماذا كنت تريدين؟

ولكن لورين اصرت على ان لا شيء مهم. . . بدا عليها الانزعاج والغضب. قالت في نفسها. . . هو حر في استقبال من يشاء من الضيوف في غرفته، ثم ان والدتها لم تحدد له اوقات الزيارات ومواعيد انتهائها. . . هو حر التصرف. . . ولكنه غادر فجأة قبل ان تجيبه.

وفي المساء حضر باكراً وامسك بها وجهاً لوجه وعاد سؤاله:

- يجب ان اعرف ماذا كنت تريدين؟

حاولت ان تفلت من قبضته وقالت:

- لا شيء مهم. . .

هربت الى غرفة الطعام. تبعها وشاهدها تفرغ حقيبة العمل وتخرج منها ملف مشروع الجريدة، ثم تدفعه من جديد الى داخل الحقيبة. ولكنه لاحظ حركتها واخرج الملف بالقوة ورأى اجزاء الجريدة. . .

- الآن عرفت. . . (بدأ يتصفح المقالات المبوبة ويتعرف الى عملها.

وابتسم ساخراً) انت لست راضية عن ترتيب الجريدة، اليس كذلك؟
- نحن لسنا صحافيين. نحن معلمات لا نفهم الكثير في عمل الصحافة. (رفع حاجبيه) بذلنا جهداً جباراً دون فائدة.
- وماذا تريدين؟
- ارجوك. هل تستطيع مد يد المساعدة لنقوم بعمل افضل؟
اخرج كرسياً وجلس الى الطاولة. اصبح هو الاستاذ وهي الطالبة. بدأ يشرح لها اسس توضيب المجلة وتبويبها وعمل رئيس التحرير. يشطب ما يلزم، ويختصر متى وجب الاختصار، ويشير الى القصص التي يمكن تفصيلها اكثر.

وحين انتهى من عمله، اخبرته ان ثمار جهوده ستظهر قريباً في اخراج مجلة المدرسة كأفضل مجلة ظهرت حتى الآن.
ابتسم وقال:
- وانت مديرة التحرير ستنالين كل المديح والاطراء، بينما انا الذي قمت بالعمل المضني.
- وهل تريد ان نشكرك على جهودك ونشير الى كونك ساعدت في التحرير؟
- كمساعد لمديرة التحرير؟
كاد جان ان ينفجر غيظاً وهو يردد:
- انا مساعد مديرة التحرير؟ وتقولينها بملء فمك...
خرج من الغرفة مقهقهاً وقال:
- انت فتاة لعوب وشيطانية ووقحة.
اشترت لورين حقيبة يد جديدة واخرجت محتويات حقيبة يدها القديمة فوضعتها في الحقيبة البنية الجديدة. وصلت الى المدرسة تحمل الحقيبة الجديدة التي نالت اعجاب المعلمات وحسدهن.
اهتمام لورين بهندامها اصبح ملموساً من الجميع حتى ان هوغ بدأ يطري ذوقها في اختيار ثيابها، ويحاول التودد اليها من جديد. اعتقدت لورين انه على خلاف مع مارغو التي عادت لمصاحبة جان وتركته يلهث خلفها وحيداً. ولكن ذلك غير معقول لأنه سيرافقها الى الحفلة الراقصة... من الواضح الآن ان مارغو تستطيع ان تحتفظ برجلين تحت

سيطرتها. تشدهما متى ترغب، وتبعدهما متى تريد. انها تتمتع بأنوثة طاغية تحسد عليها.

عادت لورين من المدرسة وقد رتبت امرها على تمضية امسيتها منفردة. لقد ذهبت والدتها برفقة جيمس الى فرع للشركة التي تعمل بها يبعد اميالاً قليلة عن المدينة. وكذلك جان، كان عليه ان يعمل متأخراً في الليل.

وصلت الى البيت وفتشت عن مفتاحها في الحقيبة الجديدة ولم تجده. لا بد وانها تركته يقبع في جيبة صغيرة في الحقيبة القديمة، واغفلت ان تنقله الى الحقيبة الجديدة. جلست على عتبة الباب الخارجي تفكر بوسيلة تمكنها من دخول بيتها. الشبابيك محكمة الاغلاق من الداخل ولا منفذ لها الا بواسطة المفتاح الخارجي.

حاولت ان تجد وسيلة ممكنة للخلاص من ورطتها. لا بد لها من الذهاب الى جان في مكتبه بالجريدة لتستعير مفتاحه...

هذا هو الحل الوحيد لمشكلتها السخيفة والمربكة... قامت على الفور ودخلت منزل الجيران وتكلمت مع جان بالهاتف. وبعد ان تعرف الى صوتها انفجر ضاحكاً.

ـ اذا كنت تعتقد ان ذلك مضحك لهذا الحد فلن ازعجك.

كادت ان تقفل السماعة.

ـ لا تكوني غبية. بالطبع يمكنك الحضور الى المكتب. تعالي بالباص. سأنتظرك.

وضعت لورين سماعة الهاتف وذهبت الى مكاتب الجريدة. وحين وصلت قالت لها موظفة الاستقبال:

ـ خذي المصعد الى الطابق الثالث. المكتب هو اول باب الى اليمين.

دخلت لورين المكتب واستقبلها ستة شباب بعيونهم النهمة، والتفوا حولها محدقين كأنهم يرون فتاة جميلة لأول مرة. الغرفة واسعة ودافئة ومنيرة. جالت ببصرها في الحاضرين تفتش عن جان حتى وجدته. ركضت اليه تحتمي به من نظرات الشباب الجائعة. قدم لها كرسياً لتجلس ولكنها بقيت واقفة تريد ان تأخذ المفتاح وتركض هاربة من الغرفة باقصى سرعة... ولكن جان يريد ان يتسلى بوجودها. وبدأ يقول:

ـ ما سبب زيارتك؟

ـ انت تعرف جيداً انني حضرت في طلب المفتاح.
ـ آه. تذكرت. (ابتسم وفتش في جيوبه) ولكنك لم تطلبيه بعد. اجلسي واستريحي.

بدا عليها الانزعاج والارتباك وهذا ما ضاعف سروره. اقترب احدهم منها. جلست هي على الفور من خوفها. احاط بها آخران وجلس رابع فوق مكتب جان يحدق بها.

قال جان مبتسماً:
ـ ما هذا؟ هل نحن في مؤتمر صحافي ام انكم تجرون مقابلة مع الآنسة؟
احاط بها الشباب وقالوا تباعاً:
ـ هيا يا جان. عرفنا.
قال احدهم:
ـ هل هي صديقتك؟
سأل آخر:
ـ هل هي آخر صديقة لك؟
رد آخر:
ـ اشك في ذلك.
تمتم اخر:
ـ انها ليست من النوع الذي يستهويه.
قال الأول:
ـ هيا يا جان. تكلم. اعترف. كل ما ستقوله سيبقى سراً ولن نذيعه او ننشره في الجريدة.
قال احدهم:
ـ العصافير يحمن حوله باستمرار وكل يوم عصفورة جديدة. نحن لا نرى العصفورة مرتين برفقته...
قطب جان حاجبيه ووجد ان لا مفر امامه سوى ان يعرفها اليهم قائلاً:
ـ الآنسة فارس. معلمة اللغة الانكليزية في مدرسة للبنات في المدينة.
قال احدهم:
ـ معلمة مدرسة؟
قال جان:

- انني استأجر غرفة في منزل والدتها.
قال احدهم:
- تعيشان تحت سقف واحد.
قال آخر:
- صديقان حيمان.
قال جان:
- انتم مخطئون. نحن لسنا صديقين... أليس كذلك يا آنسة فارس؟
ضحك الجميع.
- سأقول لكم يا شباب ان هذه الفتاة تعض... (حاول الشباب الاقتراب منها) وانا اعني ذلك بالمعنى الحقيقي وليس بالمعنى المجازي فقط. رأيها في الصحفيين لن يعجبكم...
صرخ الشباب:
- اوه.
قال جان:
- هل تعرفون ما قالته لي يوم وطئت قدماي عتبة بيتهم لأول مرة؟
قالت لورين:
- ارجوك. لا تتكلم...
ولكنه صمم ان يكمل حديثه بالرغم من رجائها فقال:
- سأقول لكم. ولكن عندما انتهي لا تعتدوا عليها لأنني لن اسمح لكم بذلك. (بدأ يعد على اصابعه) قالت: ان وجود صحافي في البيت كوجود جاسوس. وانه قد وضع مسجلاً في المنزل يحصي الأقوال والأفعال. وقالت: باعتقادي ان الصحافيين يتقاضون اجوراً مرتفعة مقابل عمل لا يحتاج الى مهارة. (حبست لورين انفاسها بانتظار العقاب الذي ستناله من الجميع. وأكمل جان) وان المراسلين الصحافيين ينقبون في الحياة عن الدبابيس الصدئة العفنة وينشرونها على العالم كحقيقة يجب تقبلها.
ضحك الجميع... لم يغضب احد منها، بل على العكس شاهدت نظرات الاعجاب تلفها مما زاد من استغرابها.
قال احدهم:
- انها ليست مخطئة.

قال آخر:

- لديك فتاة ملتهبة تعيش معك في منزل واحد وتقول انكما لستما . . .

قال جان:

- اقسم لكم، اننا لم نمسك بأيدي بعض. . . أليس كذلك يا آنسة فارس؟

قال احدهم:

- كن صادقاً. . . لا بد وانكما تتفاهمان ولو لبعض. . .

قال جان مقاطعاً:

- يا شباب، حضرت الآنسة لمقابلتي وليس لمقابلتكم.

نظر اليهم نظرة آمرة صارمة وعلى الفور تفرق كل الى عمله.

طلب جان فنجان شاي من الموظفة المسؤولة وللفور لبي طلبه.

قال جان:

- استريحي وتناولي فنجان الشاي فسيساعدك في طريق العودة.

اخرج بعض الأوراق من درج مكتبه وقال:

- اقتربي بكرسيك واقرأي هذا التقرير.

فعلت لورين كما امرها وهي تتناول فنجان الشاي.

- سأعلمك اول درس في قواعد التحرير. اقرأي وقولي اذا كانت المقالة تحتاج لبعض الاختصار.

وبعد ان قرأتها وضعت كفها وغطت بها آخر ثلاثة اسطر. . .

- تفعلين ذلك؟ المعلومات الأساسية موجودة في الثلاثة اسطر الأخيرة. . .

قرأت المقالة من جديد وقالت:

- آسفة لم انتبه.

- عملية الاختصار تتناول الكلمات. عليك ان تستبدلي بعض الكلمات الكبيرة باخرى صغيرة سهلة تستعمل كل يوم. مثلاً، ارتدى ثيابه تصبح لبس ثيابه. راقب البرج تصبح نظر. . . وهكذا. . . (كان يشطب امامها ويغير وهي تراقبه باهتمام) واذا لزم الأمر تعاد كتابة المقالة من البداية. . .

كانت لورين تستمع الى شرحه باهتمام وتفهم. تمنت لو تبقى وقتاً اطول

تتعلم منه دروساً في التحرير. نظرت الى ساعتها تستطلع الوقت.
قال:
ـ افهم إنك تأخرت وتريدين المفتاح.
اخرجه من مجموعة مفاتيحه ووضعه في كفها، وضغط بكفه فوقها فترة اطول مما يجب... بدأ قلبها يسرع في ضرباته وهو ينظر اليها نظرات تعبر عن الرقة والحنان. وقال مازحاً:
ـ طالما انك تطلبين مفتاح قلبي...
وصلت الى باب المكتب حين ناداها قائلاً:
ـ ألن تقولي وداعاً يا آنسة فارس؟ ربما نكون من أكلة اللحوم، ولكننا لا نأكل لحوم البشر...
نظرت اليه تودعه ورأت خيبة الأمل بادية على محياه ولم يبتسم مودعاً... ولكنها ضحكت ضحكة بريئة وهي تراه على هذا النحو. التفت الشباب على رنة ضحكتها، وبدت السعادة على وجوههم كأن الشمس قد اشرقت دون انتظار...

٥ - الحفلة الراقصة

أواخر تشرين الثاني/ نوفمبر والحفلة الراقصة التي ستقام بمناسبة مرور مئة سنة على تأسيس الجريدة التي يعمل جان مدير تحرير الاخبار فيها قد اقترب موعدها. لورين متحمسة جداً لرفقة جان الى هذه الحفلة، وحماسها يزداد يوماً بعد يوم وتعتبر موعدها نعمة كبرى.

نزلت لورين الى السوق برفقة والدتها وانتقت ثوباً جديداً يليق بالمناسبة المرتقبة. اشترت فستاناً من المخمل الأحمر، يظهر جمال وتناسق تقاطيع جسمها، دون اكمام، وقبة مفتوحة مستديرة تكشف عن قسم كبير من الصدر والرقبة. وستعيرها والدتها عقدها اللؤلؤ المكون من دورين لتجمل به صدرها.

في طريقهما الى المنزل اخبرت بريل ابنتها لورين ان ابن جيمس سيعود الى انكلترا خلال الأيام القليلة المقبلة.

قالت لورين مندهشة:

- لم اكن اعرف ان عنده ابناً شاباً.

- انا متأكدة انني اخبرتك ذلك، وقلت ايضاً ان اسمه ماتيو.

- ما شكله؟ وهل هو متزوج؟

- رأيت صورته عند جيمس. شاب وسيم شعره كثيف ويشبه والده بوجهه المستدير البشوش... انه غير متزوج ولكن جيمس يتوق ان يراه مستقراً وهو في هذا العمر. اخبرني والده ان لديه صديقة حميمة في الخارج وهو يعرفها منذ سنتين او اكثر. ماتيو مهندس مدني يقوم ببناء الجسور في خارج انكلترا.

وعندما وصلتا الى المنزل دخلت لورين الى غرفتها واعادت تجربة فستانها الجديد وهي مسرورة وفرحة. وقفت في غرفة والدتها تعيد النظر اليه في المرآة عندما سمعتا صوت سيارة جان تقف في المدخل. دفعت بريل لورين الى غرفتها وقالت:

ـ اسرعي يا عزيزتي وبدلي ثيابك... لا تدعيه يراك في الفستان الجديد قبل الحفلة. نريد ان نفاجئه.

بدلت لورين بسرعة فائقة وعادت الى ثيابها التي كانت ترتديها في السوق، ونزلت من غرفتها باتجاه غرفة الجلوس. التقت جان، في طريقها، بصحبة فتاة اخرى غير مارغو ولكنها تفوقها اناقة وانوثة واكثر شموخاً وتكبراً. لم يدع جان الفتاة تتكلم بل دفعها بسرعة الى داخل غرفته واغلق الباب دونهما.

قالت لورين في نفسها: انها وردة جديدة في حديقته... واحست وجعاً اليماً في قلبها وحزناً في كيانها. بقيت الزائرة الجديدة مدة طويلة معه في الغرفة... لم تسمع لورين الضحك المعتاد او الثرثرة وحتى الموسيقى... الهدوء يخيم كلياً على جو الغرفة، وكانت تفضل لو تسمع الضجيج والقهقهات ورائحة السكائر تنساب عبر الباب المغلق اكثر بكثير من هذا الصمت المخيف... الذي غالباً ما يلف المحبين والعاشقين.

وبعد مدة طويلة خرج جان بصحبة الفتاة واوصلها الى الباب الخارجي مودعاً، وعاد الى غرفة الجلوس حيث التقى لورين وبادرها قائلاً:

ـ أهلاً لورين.

لم تجب. نظرت اليه نظرة حادة غاضبة وكأنها لا تصدق ما الذي يجري حولها. حدق اليها وقال متسائلاً:

ـ لماذا؟ هل تغارين؟

قالت بنزق:

ـ ولم اغار؟ انت لا تعني لي شيئاً البتة. لا تخدع نفسك وتعتقد ان سحرك لا يقاوم ... فأنا لست وردة في حديقتك...

كانت لورين تريد ان تسخر منه ولكن الألم كان يعصر فؤادها. دخلت الحمام تحتمي فيه واطلقت لدموعها العنان، وبقيت تغسل وجهها من الدموع المتساقطة رغماً عنها حتى هدأت نفسها وارتاحت. دخلت سريرها

تحاول ان تنام ولكن النوم جافاها...

وفي صباح اليوم التالي التقاها جان وهو في طريقه الى عمله. قال يخاطبها كأن الحديث بينهما لم ينقطع منذ البارحة:

- اذا كنت تصرين على معرفة ما كنا نفعل البارحة... كنا ننجز بعض الأعمال الصحافية... (وسعت لورين عينيها غير مصدقة) واذا نظرت الي يا آنسة فارس هذه النظرة كأنك لا تصدقين ما اقول، فحماقتك لا حدود لها...

احمرت لورين خجلاً بل غضباً، وصعقت من وقاحته في مخاطبتها وركضت تلملم اذيال الخيبة والمهانة.

وبعد بضع ليال قالت بريل تحادث ابنتها:

- لقد قابلت ماتيو...

- ماتيو؟

- انه ابن جيمس. هل تذكرين؟ انه شاب مهذب وقد دعوته للعشاء مع جيمس في الاسبوع القادم، في الليلة التالية للحفلة الراقصة لأهل الصحافة.

- صحيح. حسناً، سأكون جاهزة للقائه.

وصل موعد الحفلة الراقصة. كانت لورين تترقب بلهفة كبرى حلول الموعد كطفلة صغيرة. ارتدت ثيابها بمساعدة والدتها وبحماس واضح. كانت تلبس تنورتها عندما سمعت طرقاً خفيفاً على باب غرفتها. وعلى الفور فتح الباب واطل جان برأسه دون ان ينتظر السماح له بالدخول. فتشت لورين عن روب المنزل لتستر به نفسها ولكنها كانت قد علقته خلف الباب.

ضحك جان ببراءة وقال:

- هل ستذهبين هكذا الى الحفلة؟ ستكونين اجمل الفتيات واكثرهن اغراء.

صرخت لورين بصوت غاضب:

- وماذا تريد الآن؟

- جئت لأعلمك ان هوغ سيمر عليك ليصحبك الى الحفلة.

غطت وجنتيها بيديها من الخجل وبانت خيبة الأمل في عينيها:

ـ ولكن. . . ولكن كنت اعتقد انني سأذهب برفقتك. . .
هز كتفيه وقال:
ـ آسف. لقد غيرت مارغو رأيها في آخر لحظة. . . تريدني ان ارافقها. . . وما تريده مارغو تحصل عليه. . .
ثارت ثائرتها وشدت على قبضة يدها بانفعال ظاهر. لم يعد يهمها ان تخفي عنه غضبها او انفعالها.
بصقت في الهواء وقالت:
ـ انت شهم وشجاع. انك تحافظ على مواعيدك وارتباطاتك وتفي بوعودك.
ـ من يسمعك (كان يحدق بها بنهم وخبث ويتفحصها من قمة رأسها الى اخمص قدميها) يعتقد ان املك قد خاب. . .
بقيت بريل صامتة تراقب ما يجري حولها دون ان تتكلم، ولكنها اخيراً قالت بحماس:
ـ نعم، لقد خاب املها فعلاً. كانت تريد ان تذهب الى الحفلة برفقتك انت.
استدارت لورين تخاطب والدتها وقد ازداد غضبها اضعافاً لتعليق والدتها:
ـ هذا ليس صحيحاً. لا يهمني ان ارافقه.
فتحت بريل فمها مستغربة كلياً ما يجري، ولكنها لم تتكلم.
قال جان:
ـ اهكذا؟ يراودني خاطر اكيد ان اتصل بمارغو واعتذر منها واصحبك انت فقط لاثير غضبك وازعجك.
ضحكت بريل ضحكة متكلفة في محاولة لتهدئة الجو وقالت:
ـ لا. لا تفعل. لا يهم الآن ان نزيد الأمور سوءاً، سيصحبها هوغ.
استدار جان وخرج:
ـ مساء الخير يا سيدة فارس (والتفت الى لورين) سأراك في الحفلة فيما بعد.
ـ لا اريد ان اذهب. آسفة يا اماه ولكن حماسي قد تبخر ولم اعد راغبة في الذهاب.

قالت بريل:

- من الواضح ان املك قد خاب يا صغيرتي، ولكن لا بأس. سترينه هناك وربما سترقصين معه ايضاً...

انهت لورين ارتداء ثيابها وتحضير نفسها. القت نظرة اخيرة على نفسها في المرآة وشاهدت تعابير وجهها الحزينة. قالت في نفسها: انا لا اريد رفقة هوغ وهو ايضاً لا يريد صحبتي. كلانا يتطلع الى رفيق آخر... تجمعنا المصيبة الواحدة.

بدأت والدتها تطري محاسنها في محاولة لرفع معنوياتها. استعارت لورين منديلها الأحمر وربطته في شعرها متحدية.

قالت بريل:

- لماذا؟ اتركيه منسدلاً يناسبك اكثر ويضفي عليك جمالاً فوق جمالك.

- لا اريد. انه يضايقني وينساب على وجهي ويثير عصبيتي.

استقبلت لورين هوغ بفتور ظاهر وابتسامة متكلفة. كانت جامدة النظرات حائرة... ترد على مجاملته بكلمات تافهة لا معنى لها. قاد سيارته الى الفندق حيث ستقام الحفلة واوقفها في المرآب المعد للوافدين الى الحفلة. وجدت لورين سيارة جان تقف بالقرب من سيارة هوغ. نزلت من السيارة بعد ان لفت نفسها بمعطفها الواسع، وانتظرت هوغ حتى اقفل السيارة ومشى صوبها ووضع ذراعه في ذراعها وقادها الى داخل الفندق. دخلت لورين الى غرفة السيدات لترتب زينتها وتخلع معطفها وقالت تخاطب هوغ:

- سألقاك هنا بعد دقائق قليلة.

القت لورين نظرة اخيرة على المرآة تطمئن الى جمالها واناقتها. كانت تظن ثوبها جميلاً ولكنها بعد ان شاهدت اثواب الاخريات حولها وجدت ان فستانها يبدو بالمقارنة عادياً جداً.

قالت مارغو حين شاهدت لورين في غرفة السيدات:

- اهلاً يا آنسة فارس.

كانت موردة الخدين وسحرها طاغياً بفستان ابيض واسع محلى بالكشاكش، ترتدي معه جزمة بيضاء وتضع كذلك وردة بيضاء في شعرها.

ـ مساء الخير يا آنسة فرنش.
ـ هل هوغ معك؟
ـ انه ينتظرني في الخارج.
ـ حسناً. علي ان اجد جان، انه شاب لطيف، خفيف الظل... قال انه لا يمانع في تبديل المرافقين لنا في آخر لحظة. جان راقص ماهر بينما هوغ لا يجيد الرقص... كان لا بد من مرافقة جان بدلاً من هوغ كي اتمتع بالرقص في هذه الحفلة... وانت لا مانع عندك يا آنسة فارس!

تصرفات مارغو سخيفة وطفولية للغاية مما جعل لورين تشعر بانها تكبرها بمئة سنة او اكثر. ابتسمت لورين وهزت رأسها موافقة دون ان تجيب بكلمة واحدة، ثم تبعت مارغو الى خارج غرفة السيدات وشاهدتها وهي تحيي هوغ وترفع له يدها ثم تدخل قاعة الفندق حيث ستقام الحفلة الراقصة. وغابت وسط الجموع.

حاول هو اللحاق بها ولكنه توقف حين لمح لورين تقترب منه. كانت خيبة امله اكبر من خيبة املها... او هكذا اعتقدت لورين.

امسك هوغ بذراعها ومشى واياها الى القاعة الكبرى حيث دخلت مارغو. كان يأمل ان يلتقي جان ومارغو لينضم اليهما، ولكنهما كانا في وسط القاعة ضمن مجموعة من الزملاء الصحافيين. جلس الجميع حول طاولة مستديرة يضجون بالضحك ويثرثرون.

قالت لورين في نفسها: لا احد يستطيع منافسة مارغو... رغباتها تنفذ على الفور. جلست مع هوغ الى طاولة صغيرة ونظرت باتجاه طاولة جان فوجدته يحدق في وجه مارغو التي كانت تردد نكتة للمجموعة. ضحك الجميع من جديد. كان الرجال يحيطون بها احاطة السوار بالمعصم.

شعرت لورين بالغيرة القاتلة اكثر من اي وقت مضى. كادت تختنق من شدة انفعالها وغضبها. حاولت ان تبتسم لمرافقها رغماً عنها، ولكنها وجدته يحدق بمارغو من اقصى الغرفة.

قالت بعصبية واضحة:
ـ اريد بعض الشراب يا هوغ.

اعتذر عن اغفاله هذا الأمر وقام على الفور لتلبية طلبها. بقيت لورين تجلس منفردة وسط المدعوين. نظر اليها جان من بعيد نظرة باردة قاسية

وشعرت كأنها دمية لا تروق لأحد.

نظرت حولها وهي تفكر في طريقة للهروب من الحفلة قبل عودة هوغ. كانت واثقة بأنها لو فعلت هذا فلن يفتقدها رفيقها ابداً. كل ما سيفعله هو ان يمشي باتجاه مارغو وينضم الى مجموعة المعجبين.

حضر هوغ وبيده كأس شراب الكرز. تناولته منه وشكرته بابتسامة خفيفة ولكنه لم يلحظها. اخذ سيكارة من علبته بتأن وجلس قربها يدخن. انسابت الموسيقى الراقصة وشاهدت لورين جان يسير برفقة مارغو الى حلبة الرقص يبدو عليه المرح.

احست لورين تشنج هوغ وهو يراقب جان يراقص مارغو ويتثنى بها مع تناغم الموسيقى برشاقة وانسجام تام. اما هي فكانت تراقبهما بشعور المغلوب على امره، لا تستطيع ان تفعل اي شيء حيال نجاح مارغو باقتناص جان والاستيلاء عليه.

قال هوغ كأنه يقوم بواجب هو مجبر عليه:

ـ هل ترقصين يا لورين؟

قامت تسايره ودخلت واياه الحلبة. كانت تتعثر في حركتها وتجاوبها مع الموسيقى مما جعلها تطأ رجلي هوغ مع كل خطوة، واقتصر الكلام بينهما على الاعتذار عن تعثرهما. . . ضحك هوغ اخيراً من ارتباكها وانتهت المعضلة مع نهاية الرقصة. عادا الى طاولتهما وكأنه ارتاح من عملية انهكت قواه.

ـ هل تريدين كأساً ثانية؟

كان هوغ يريد الهروب ولو لدقائق.

ـ لا شكراً. يمكنك ان تشرب انت.

قام هوغ على الفور وتركها من جديد. غاب طويلاً. تعجبت لورين من تأخره. نظرت الى طاولة مارغو فوجدته يقف قربها يضحك ويثرثر وهو بادي الانشراح.

والآن حان الوقت لتهرب من الحفلة. وماذا ستنتظر؟ لقد هجرها رفيقها ونسي وجودها. حملت حقيبتها وحاولت النهوض. . .

ـ ماذا تفعل فتاة شابة جميلة مثلك في حفلة راقصة دون رفيق؟ هل تحتاجين لشراب؟

حضر رجل آخر وقال:

ـ هل تراقصينني؟

حضر جان من ورائها ووضع يده على كتفها وصرخ بالشباب الذين تحلقوا حولها:

ـ ابعدوا يدكم عنها. اتركوا هذه الفتاة وشأنها!

ـ وهل هي رفيقتك؟

قال آخر:

ـ ربما هي آخر صديقة له.

قال احدهم:

ـ لا. انها ليست على مزاجه. هي نحيلة اكثر من اللزوم...

قال جان بلهجة آمرة:

ـ هيا يا لورين.

قامت لورين طائعة وقد بدأ قلبها يسرع في ضرباته وهي تسمعه يناديها لأول مرة باسمها ويرفع الكلفة بينهما. احاطها بذراعيه ودفعها دفعاً الى حلبة الرقص.

ـ شكراً لمساعدتك ولكنني لا ارغب في الرقص.

ـ هذا مؤسف لأنك سترقصين غصباً عنك.

ـ لا يمكنني. انا لا اجيد الرقص... يمكنك ان تسأل هوغ...

شدها اليه بقسوة وبدأ يعلمها كيف تتثنى مع الموسيقى، واستغرقت العملية ثوان قليلة وهو يضغط ضغطاً خفيفاً ويعلمها ان تتجاوب مع الايقاع. شعرت كأنها ريشة خفيفة يطير بها يميناً وشمالاً كما يريد...

ـ هيا تكلمي.

ـ وماذا سأقول؟

ـ ان الصحافي لا مبادىء او اخلاق لديه وهاجسه الأول الجنس الآخر...

ـ أنت تقول الحقيقة...

تابعا الرقص ودار بها وسط الراقصين. ضاعت في الزمن والفكر والأحاسيس وهي بين يديه وتعطل عقلها عن العمل كلياً.

شدها اليه بقسوة وتمتم في اذنها:

ـ قلت لك من قبل واكرر قولي الآن، انت حمقاء درجة اولى...

- وماذا فعلت الآن؟

رفع يده ومر بها على شعرها الأملس وتحسس المنديل الذي عقصت به شعرها الى الخلف وقال:

- لقد ربطت شعرك فقط لازعاجي اليس كذلك؟

- نعم.

تنفست بصعوبة بعد ان ضغط باصابعه ضغطاً خفيفاً على رأسها. الموسيقى حالمة وحنونة والجو عابق خانق بعد ان انخفضت الأنوار في القاعة. فجأة عانقها جان بخشونة حتى انّت من الألم. رفع رأسه عنها وقهقه. ابتعدت عنه تريد الافلات من قبضته ولكنه صمم على الاحتفاظ بها بين ذراعيه القويتين... ولما انتهت الرقصة وتوقفت الموسيقى وسطع النور في القاعة من جديد نظرت لورين اليه وقد التهبت وجنتاها من شدة الخجل، ولكنه كان رابط الجاش كأن شيئاً لم يكن.

- اريد ان اذهب الى البيت.

- لا يمكنك ذلك الآن. يجب الاستماع الى الخطب والأنخاب... ذهابك الآن غير لائق.

مشى بها الى طاولتها حيث شكرها بانحناءة كبيرة ساخرة وتركها وانصرف. عاد هوغ بعد قليل يحمل لها كأساً من شراب الكرز وضعه امامها وقال:

- ارسل لك جان هذا الشراب وقال انك بحاجة اليه (ابتسم) قال انه يرسله لك مع حبه... وبالطبع فهو لا يعني ما يقول.

بقي الشراب امامها دون ان تشربه ولكنها وجدت نفسها مضطرة لذلك وقت شرب الانخاب، وذاقت طعمه فوجدته امر من العلقم في حلقها وهي تتذكر ما قاله جان حين ارسله اليها.

تصافح الجميع وتبادلوا التهاني والتمنيات بهذه المناسبة من حياة الجريدة... ثم عاد الرقص من جديد وامتلأت الحلبة بالراقصين والراقصات والمازحين والمازجات.

اعتذر هوغ من لورين وذهب ليراقص مارغو. وبعد قليل شاهدت جان يخطو باتجاهها. حبست انفاسها هلعاً وامسكت بحقيبة يدها وهي تفكر بالهروب من اقرب منفذ الى الخارج. ولكن جان ادرك معنى حركتها واسرع

خطاه وامسك بذراعها على الفور.
- ولماذا تهربين؟ لماذا لا تشاركين الآخرين في المرح والانشراح؟
- لا اعرف كيف. (قالت وهي تشد على اسنانها من غيظها) فأنا معلمة مدرسة ومحتشمة جداً...
- بهذا الثوب الفاضح (جرها الى حلبة الرقص) وهذا الجسم المتناسق... لا يمكن لأحد ان يتكهن بانك معلمة مدرسة محافظة. هيا ارقصي وتجاوبي وافعلي كما يفعل الآخرون. انسي نفسك هذه الليلة وتمتعي بوقتك، لا تكوني متزمتة ورجعية...
واخيراً تركت نفسها تنساب مع الموسيقى وتركت له زمامها يسيرها كيفما يشاء...
- هذا ممتاز (قال مشجعاً) كم انت سريعة الفهم وتتعلمين بسرعة فائقة. (اقترب منها اكثر) انت خلابة وساحرة.
اعتقدت أنه يسخر منها ويجاملها، ولكنها تجاهلت هذا التفكير وتابعت الرقص وهي تتجاوب مع حركاته وسكناته لأن شعورها الداخلي كان شعوراً ممتعاً جديداً.
وحين توقفت الموسيقى احست بقوة سحرية تجذبها الى رفيقها وتتركها دون ارادة، او رغبة في مقاومته. وضع يده حول خصرها ورفع رأسها بيده الاخرى، ونظر الى عينيها نظرة نفاذة اضاعت ما بقي من صوابها، وقادها الى طاولته حيث كانت مارغو تجلس مع هوغ. اجلسها لترتاح وكأنه شعر بضعفها وتخاذلها. غمرها حبه وملأ كيانها. احست انها تعيش زمناً مختلفاً عما اعتادت... تعيش ساعة في العمر تساوي عمرها كله.
قال جان:
- مارغو. سنبدل الرفقاء. هل لديك مانع؟
بان الغضب على وجه مارغو ولكنها ابتسمت ومدت يديها نحو هوغ وقالت:
- لا مانع لدي يا حبيبي. هوغ هو رفيقي اليس كذلك؟ انت لست الحصاة الوحيدة على الشاطىء (وتمتمت في اذن لورين) انا استطيع ان استرده متى ارغب، والى ذلك الحين فأنا اعيره لك يا آنسة فارس (رق صوتها كأنها قطة تموء) سيكون بأمان معك ولا خوف عليه برفقتك يا آنسة

فارس. . .

رفع جان حاجبيه ساخراً، وابتسم وهو ينظر الى خطوط كفه كمن يقرأ خطوط المستقبل وقال:

- لا تكوني واثقة جداً مما تقولين، فانا لست شيئاً للاعارة والتأجير. انني انسان ملك نفسي ولست ملك احد.

اعجبت لورين بجرأته في محاولة التملص من براثن مارغو لاستعادة حريته. . . ولكنها كانت تعتقد ان معركته خاسرة في النهاية. . . وكما قال جان في بداية السهرة: «ما تريده مارغو تحصل عليه. . .».

نهضت مارغو غاضبة وجرت هوغ خلفها الى حلبة الرقص بينما وقف جان يراقبها راضياً مبتسماً.

- هل تشربين شيئاً يا لورين؟

هزت رأسها موافقة وتمتم في اذنها وهو يمشي ليجلب لها كأس الشراب:

- اسمي جان. . .

- شكراً. . . يا . . . جا. . . ن. يا جان.

شرب جان كأسه وانتظر ان تنتهي من شرابها. ثم قال كمن نفد صبره:

- اريد ان ارقص.

مشت معه فضمها ورقصا صامتين رقصة حالمة هادئة. . . تمتم جان في اذنها:

- وتقولين انك لا تجيدين الرقص؟

- من الغريب انني ارقص معك بليونة لم اعهدها في نفسي من قبل. . .

ابتسم ابتسامة عريضة راضياً. ولما انتهت الرقصة قالت لورين:

- اعتقد ان علي ان اعود الى البيت.

- هل تمتعت بالحفلة؟

- نعم، تمتعت بها كثيراً ولكن ارجوك ان توصلني الى البيت.

حملت معطفها وركبت قربه في سيارته وقادها في صمت ثقيل. حين وصلا اقفل محرك السيارة وبقيا على صمتهما. احست بتشنج وتوتر في كل عصب من اعصابها لوجوده قربها. امسك بذقنها بين اصابعه وادار رأسها اليه. جنت ضربات قلبها وازداد خفقاته. وصلت يده الى عنقها من الخلف وافلت المنديل الذي عقصت به شعرها، وللحال انسدل على كتفيها ووقع

المنديل الى ارض السيارة.

مد يده بحنان وضمها اليه. غاصت في بحر العاطفة الهوجاء وغرقت في لججه. حاول ان يتراجع قليلاً ولكنها تشبثت به كما يتعلق الغريق بدفة النجاة، وهي مسحورة مسرورة وقد افلتت لاحاسيسها العنان فطارت بها الى السماء السابعة... ولم تعد تريد ان تفكر بشيء... تراجع كل منهما الى مقعده وبقيا صامتين مبهورين.

تمتم جان:

- يا إلهي...

وكررها عدة مرات.

اسندت لورين رأسها الى مقعدها واغمضت عينيها وبقيت صامتة. وبعد وقت قليل تمالكت توازنها واستعادت طبيعتها المحافظة وارتبكت كثيراً وهي تستعيد في ذهنها ما حل بها وما شعرت به... لقد استسلمت لعواطفها كلياً وتركت نفسها على سجيتها دون رادع. ارتبكت اكثر لأنه احس تجاوبها مع عاطفته دون حاجة بها الى الافصاح... لقد لمس تعلقها به وحبها الذي لا يعرف حدوداً.

ادركت اخيراً انها دخلت حديقته بارادتها... دخلتها دون اذنه، دخلتها رغم معارضته السماح لها بالدخول.

قالت وهي شاردة الذهن:

- آسفة. لقد دخلت حديقتك سهواً. لقد كبرت وأينعت تحت رعايتك الخبيرة في الورود، أليس كذلك؟ بقي ان تقطفني وترميني كالأعشاب اليابسة (حاولت ان تفتح باب السيارة لتخرج) سأوفر عليك التعب. سأخرج من الباب الصغير الخلفي وسأغلقه ورائي. كن مطمئناً فلن ادخلها مرة ثانية (خرجت من السيارة واكملت) شكراً لايصالي الى المنزل. وعمت مساء.

- عمت مساء يا لورين.

صوته دافىء هادىء ومتوازن وهو يودعها... أدار محرك سيارته من جديد وغاب وسط العتمة.

٦ - ابتسامة النصر

بقيت لورين تتقلب في فراشها دون ان تستطيع النوم. من الواضح ان جان عاد لمتابعة الحفلة الراقصة ولم يعد الى المنزل قبل الثالثة بعد منتصف الليل. وبعد ان صفق باب غرفته وراءه استطاعت لورين ان تغفو.

في اليوم التالي استفاقت كئيبة تعبة تحس ألماً في رأسها. تناولت بعض الاقراص المسكنة للألم علها تتغلب على وجع رأسها وتستعيد بعضاً من نشاطها وتوازنها لتستطيع استقبال الزائرين... جيمس وابنه ماتيو.

رأت بريل وجه لورين الشاحب ولكنها لم تعقب بشيء. ساعدت لورين والدتها في ترتيب البيت وتنظيفه والطبخ وبقية اعمال المنزل... مما شغل تفكيرها وابعده عن مشاكلها العاطفية. عملت جهدها ان تبتعد عن طريق جان قدر المستطاع، وربما هو ايضاً حاول الابتعاد عن طريقها وتجنبها.

صعدت لورين بعد الظهر الى غرفتها لتهيىء نفسها لاستقبال الزائرين. لبست ثوباً من الصوف الأزرق الغامق كانت قد اشترته مؤخراً. وضعت بعض مساحيق التجميل الخفيفة على وجهها، وتركت شعرها منسدلاً على كتفيها. نظرت الى شكلها في المرآة ورأت بعض الشرود في نظراتها ... وهي تعرف اسبابه جيداً.

التقت جان في الممر وهي في طريقها الى غرفة الاستقبال. كان مشعث الشعر وربطة عنقه ملتوية وذقنه دون حلاقة... قفز قلبها من مكانه وهي تنظر اليه. لم يبتسم لها وهي ايضاً لم تبتسم. حدق فيها وحدقت فيه دون كلام.

وبعد فترة صمت قال بجدية:
ـ اهلاً لورين. . .
ـ اهلاً جان. . .
مرت بسرعة فلامست ذراعها ذراعه عفواً. اضطربت وابتعدت عنه بعصبية واضحة. لم يتحرك من مكانه.
كانت بريل تقف في اسفل السلالم تراقب المشهد. بقي جان مكانه لم يتحرك. قالت بريل تخاطبه:
ـ سيحضر جيمس لتناول الشاي مع ابنه ماتيو. . . اريدك ان تتعرف اليهما ويسرنا ان تبقى لتتناول العشاء برفقتنا. . .
ـ اشكرك يا سيدة فارس ولكنني مشغول ولا استطيع مشاركتكم ولكنني احب ان اتعرف اليهما.
ـ كما تريد. يمكنك ان تقابلهما لفترة وجيزة قبل ذهابك اذا رغبت.
دخلت بريل المطبخ وتبعتها لورين لمساعدتها.
قالت لورين تخاطب والدتها:
ـ شكلك جميل الليلة يا اماه، وتبدو السعادة واضحة على محياك. هل هناك مناسبة معينة؟
ـ نعم. لقد تقدم جيمس طالباً يدي للزواج البارحة. . .
ـ وهل وافقت؟
هزت بريل رأسها موافقة وقالت:
ـ هل يزعجك قبولي؟
امتلأت عينا لورين بدموع الفرح ولفت والدتها بذراعيها وعانقتها قائلة:
ـ انا مسرورة جداً يا اماه. وكنت انتظر هذه النهاية السعيدة. . .
شاركتها بريل دموعها ولكنها اخفتها بسرعة وقالت لورين من جديد:
ـ اذن نحن نحتفل اليوم بمناسبة سعيدة. . .
هزت بريل رأسها موافقة وقالت:
ـ اراد جيمس ان يحضر ابنه ماتيو هذه المناسبة السعيدة، وانا رغبت في مشاركتك لي فرحتي. . . نحن الأربعة فقط.
ـ اليوم سألقى اخي. . . الشقيق الذي تمنيت وجوده في حياتي. . .

اخيراً سأحصل على رغبتي.

ضحكتا كثيراً. ثم سمع جرس الباب الخارجي. قامت بريل وفتحت الباب للزائرين المنتظرين. وقف جيمس دافئاً حنوناً يبتسم، وفتح ذراعيه لبريل وابتسم محيياً لورين.

وقف ابنه ماتيو بالقرب منه. كان اطول منه قليلاً، ممشوق القوام، كثيف الشعر وعيناه ضاحكتان كعيني والده.

اغلقت بريل الباب الخارجي وتم التعارف بين الجميع وتصافح ماتيو ولورين.

قال ماتيو:

ـ لم اكن اتصور انني بعد ثلاثين سنة من عمري ستكون لدي شقيقة (عبس بشكل تمثيلي) لن تتشاجري معي ولن تعضيني يا لورين، أليس كذلك؟

ضحك الجميع وعلق جيمس قائلاً:

ـ لا تكن احمق يا ماتيو فهي ليست شقيقتك...

ـ صحيح. وربما هذا لحسن حظي ايضاً...

ـ لا تتسرع يا ولدي ودع الأمور تأخذ مجراها.

دخلوا غرفة الجلوس وطلبت بريل من جيمس ان يجلس قربها على الاريكة ففعل. وجلس ماتيو امامها.

قالت لورين:

ـ نتناول الشاي؟

نظرت الى الجميع تستطلعهم الرأي.

فقالت بريل:

ـ هل يمكنك يا عزيزتي ان تسألي جان ان كان يريد تناول الشاي معنا؟ وذكريه بوعده للقاء جيمس وابنه ماتيو في وقت لاحق قبل مغادرته.

شرحت بريل لماتيو ان لديها مستأجراً شاباً، وهو صحافي ... قررت لورين ان تقدم الشاي للجميع دون ان تسأل جان. ستحمل له فنجان الشاي وبذلك ستراه مرة واحدة فقط.

قرعت بابه قرعاً خفيفاً وبدأ قلبها يضرب ضرباته القوية. فتح لها الباب وتناول فنجان الشاي من يدها وشكرها. بدا التعب واضحاً على قسمات

وجهه. سألها:

- هل حضر الزوار؟

- نعم. وتذكرك والدتي بوعدك في مقابلتهما قبل رحيلك.

هز جان رأسه موافقاً وقال:

- حاضر. وشكراً على الشاي.

اغلق الباب في وجهها وشعرت كأنه صفعها صفعة شديدة دون ان يدري. نزلت غاضبة الى غرفة الجلوس وقد خاب املها وازدادت كآبتها. الجميع في غرفة الجلوس يمرحون ويضحكون ويثرثرون وهم يشربون الشاي. تركتهم لورين ودخلت المطبخ تحاول ان تتلهى بتحضير الطعام ووضع آخر لمساتها هنا وهناك. ولما حان موعد العشاء دعتهم الى غرفة الطعام وقامت على خدمتهم بلباقة واحترام. وبعد ان فرغوا من تناول العشاء صنعت القهوة وطلبت اليهم تناولها في غرفة الجلوس.

قالت بريل:

- نادي جان ليتناول قهوته معنا.

نزل جان وقد رتب نفسه وحلق ذقنه وشد ربطة عنقه. سلم على الجميع وحمل فنجان قهوته بعد ان اضاف اليه قطعة سكر، وشكر لورين بطريقة مهذبة.

حاولت ان تقرأ تعابير وجهه ولكنها لم تفلح. حدقت في عينيه والتقت نظراتها، واحست سرعة هائلة في نبضها. استدارت لتخفي ارتباكها... تناول جان قهوته بتأن وهو يتجاذب اطراف الحديث مع ماتيو، بينما كان جيمس يتحدث مع عروسه وهو يمسك بيديها بحنان ومودة ظاهرين.

عرف جان بأمر الخطوبة. قال انه كان يتوقعها. ضحك ماتيو وقال معلقاً:

- ان حاسة الصحافي القوية انبأتك بأمر الخطوبة المرتقبة قبل حدوثها... (ضحك جان وشاركه ماتيو والآخرون الضحك) الصحافيون يجمعون اثنين مع اثنين خمسة بدلاً من اربعة، ولكنك توصلت الى العدد الصحيح هذه المرة.

ضحك جان اكثر من الآخرين رغماً عنه. قام وقبل بريل مهنئاً وصافح جيمس وتمنى لهما السعادة في حياتهما الجديدة.

قال ماتيو:
- لننضم جميعاً الى العروسين ونقبل العروس.
ثم قبل لورين ايضاً.
- هل تمانعين يا شقيقتي الصغيرة ان اقبلك قبلة اخوية للمناسبة السعيدة؟
- تعال يا جان وقبل الآنسة ما دامت لا تمانع.
تراجعت لورين مصعوقة وقالت:
- لا. لا لزوم.
ضحك ماتيو وقال:
- الشابة تخجل. ولا يهمك يا جان. لا تقبل عذرها. الفتاة الخجولة هي افضل الفتيات.
قال جان:
- ولماذا لا افعل؟ الجميع يقبلون ولماذا ابقى خارج اللعبة؟
حاولت لورين المقاومة. ابتسم جان وقال ساخراً:
- هل انت خجولة مني يا لورين؟ بالطبع لا!
كان على لورين ان ترضخ للأمر الواقع. تركته يقبلها امام الجميع. كانت قبلة عذبة حنونة وسريعة. ابتعد جان بعد ذلك مبتسماً وقال:
- من يراك يعتقد انها اول قبلة لك.
كان ساخراً وخبيثاً.
ضحك الجميع وارتبكت لورين وقالت تحاول ان تبعد نظرات المجتمعين عنها:
- متى موعد الزواج يا اماه؟
قال جيمس:
- اوه. بعد شهرين او ثلاثة. نحتاج ان نرتب بعض الأمور.
هزت بريل رأسها موافقة.
قال جان:
- على فكرة (اخرج من جيبه المنديل الأحمر) وجدت هذا المنديل في سيارتي واعتقد انه لك (قالها مخاطباً لورين وهو يرفع حاجبيه متسائلا).
حدقت لورين به وقالت في نفسها: انه يعرف ذلك حق المعرفة...

اخذت المنديل منه ووضعته خلف الوسائد ولم تشكره.
قالت بريل:
- اوه. انه منديلي وقد اعرته لك البارحة ولكن كيف وصل الى سيارة جان؟
بان الغضب في عيني لورين وهي تجيب والدتها قائلة:
- ربما وقع مني حين اوصلني البارحة بسيارته الى البيت بعد الحفلة الراقصة.
كان جان يبتسم ابتسامة ساخرة بينما بدا التساؤ ل على وجه ماتيو. نظر الجميع باتجاهها واحمرت وجنتاها من الغضب والخجل والارتباك.
ماذا يمكن ان يستنتج ماتيو من ذلك؟ كان ماتيو يبتسم ابتسامة خبيثة. مشى الى جانبها وجلس على ذراع الكرسي الذي كانت تجلس عليه بينما بقي جان في وقفته الهازئة.
قالت بريل:
- مشكلة لورين انها لا تخرج دائماً للسهرات، وعملها في هذه المدرسة المحافظة في النهار وبعض الوقت في الكلية التقنية في المساء يستغرق معظم وقتها ويمنعها من الاستمتاع بشبابها كما يجب.
نظر اليها ماتيو وسألها:
- ماذا اسمع يا لورين؟ اليس لديك صديق تخرجين برفقته؟
تمنت لورين لو يمسح جان ابتسامته الساخرة عن وجهه... او ان يخرج... قالت:
- كان لدي صديق ولكننا لم نتفق. افترقنا.
قال ماتيو:
- الساحة نظيفة واستطيع ان اجرب حظي معك. انا ايضاً افترقت عن صديقتي قبل وصولي الى انكلترا...
قال جيمس مستغرباً:
- اعتقدت ان لديك صديقة!
قال ماتيو:
- كانت لدي صديقة. ولكنها فضلت ان نفترق حين علمت انني عائد الى انكلترا، وطلبت مني ان اختفي من حياتها الى الابد. (التفت الى لورين

يخاطبها) اقدم لك نفسي وقلبي المجروح، ولكنه ليس مكسوراً. . . سأكون في خدمتك وارافقك الى كل مكان تريدين بدلاً من الصديق. يسرني ان اجوب البلاد معك.

نظر جان الى ساعته بانزعاج وقال:

ـ اعتذر. علي الذهاب الآن. لدي موعد. (نظر الى بريل مستأذناً) هل تأذنين لي؟

ضحك جيمس وغمز له:

ـ ما شكلها يا جان؟ شقراء، سمراء ام حمراء الشعر؟

قال جان ضاحكاً:

ـ انها آية في الجمال وشعرها كستنائي على احمرار وتملك كل ما يشتهي الرجل في فتاته (نظر الى لورين وغمز. شعرت كأن سوطاً حاداً يلسعها) واسمها مارغو.

رفع يده مودعاً الجميع وغادرهم بسرعة.

وجود ماتيو في حياة لورين ادخل تبديلاً جذرياً في برنامج حياتها. كانت ترافقه الى الأماكن المختلفة التي لم تحلم بزيارتها مطلقاً. ذهبت برفقته الى عدة معارض وحفلات راقصة ونزهات بالسيارة في ايام الآحاد المشمسة. . . تناولا الطعام سوية في فنادق الدرجة الأولى والأماكن المنعزلة والمرابع الليلية الخافتة الأضواء. . . وبقيا احياناً سوية في البيت يشاهدان برامج التلفزيون، او يغرقان في القراءة او التسلية البريئة.

كانا يجلسان في قاعة الجلوس بعد ان شاهدا فيلماً مثيراً على شاشة التلفزيون. اغلقا جهاز التلفزيون ونظرت اليه بامتنان وشكرته على اهتمامه بها. قال:

ـ شابة جميلة ومثيرة مثلك لا يجوز ان تشكر شاباً لرفقته لها. انا الذي اشكرك على بهجة وجودك معي (امسك بيدها بين كفيه) الم يخطر ببالك اي سبب لما اقوم به تجاهك؟

تسمرت في مكانها وهزت رأسها نفياً.

قال:

ـ الم يخطر ببالك انني وقعت في غرامك؟

هزت رأسها نفياً وبشدة ظاهرة وقالت:

ـ لا يمكن ان اعجب شاباً مثلك؟
ـ وهل تبحثين عن مديح واطراء؟
ـ لا. اني اقول الحقيقة... انا اعرف طبيعتي وحدودي...
ضحك مقهقهاً كأن ما سمعه نكتة الموسم وقال:
ـ انت لا تعرفين نفسك ابداً يا شقيقتي الصغيرة. (ابتعدت لورين عنه) آسف. كلمة شقيقتي لا معنى لها وسأبدلها بكلمة حبيبتي. هل هذا افضل؟
ـ بل اسوأ.
ـ يا آلهي (نظر اليها مبتسماً وهو يتساءل) لورين؟
وقبل ان تجيبه حاول عناقها بشكل لم يعجبها ابداً. تيبست وتشنجت وابتعدت عنه ما استطاعت. وبدت خيبة الأمل على محياه... ارادت ان تعتذر منه وتقول: انا احب رجلاً ولا احتمل ان اكون مع غيره...
سمع قرع خفيف على الباب. قال ماتيو:
ـ ادخل.
كان جان هو القادم. حدق بهما وتراجع على الفور يريد الخروج. استدار ماتيو اليه بينما حاولت لورين ان تنهض من مجلسها، ولكن ماتيو امسك بها واعادها قربه كما كانت...
قال ماتيو:
ـ اوه. جان. ادخل.
ـ يمكنني الانتظار وآسف للازعاج.
ـ انك لم تزعجنا يا رجل. تعال واجلس معنا.
بقي جان واقفاً.
ـ حاولت معها ولكنني لم افلح. هذه الفتاة قطعة من الجليد.
ابتسم جان ابتسامة رضى ولكنه ظل يشك بصحة ما يسمع.
ـ هل تعتقد يا ماتيو ان لورين فتاة باردة؟ اعجب لهذا الأمر، ولكنني دائماً كنت اؤمن ان معلمة المدرسة فتاة...
قطعت لورين كلامه قائلة:
ـ مملة ومضجرة ومحترمة اكثر من اللزوم...
قال جان متمماً كلامها:
ـ وليست مثيرة...

قال ماتيو:

- وها انت تعرف .... آه... ماذا لو جربت بنفسك يا جان! تفضل. ربما تتجاوب معك اكثر مما تجاوبت معي.

قالت لورين والشرر يتطاير من عينيها:

- ماذا تريد يا جان؟

- يمكنني الانتظار.

- ولماذا حضرت اذن؟

- اريد والدتك. ظننت انها موجودة في غرفة الجلوس.

- وهل يمكنني مساعدتك؟

- لا يا آنسة فارس.

كان يتكلم ببطء شديد وتهكم ظاهر.

- آسفة (استدارت لتخفي خجلها) كنت اريد المساعدة فقط.

غادر جان القاعة وتركها على حالها. وبعد قليل نهض ماتيو مودعاً.

عادت بريل من الخارج ودخلت المطبخ تتكلم مع ابنتها. سمعها جان ونزل من غرفته اليهما وهو يحمل بيده رسالة. قال:

- رسالة من والدتي.

فقالت بريل:

- كيف صحتها؟

- بخير على ما يبدو وهي تسألني عن عطلة الميلاد واذا كنت سأذهب لزيارتهم في البيت... قررت ان آخذ عطلة ثلاثة ايام لازورهم. هل لديك مانع؟

- ولماذا امانع يا جان؟ (ضحكت) غرفتك ستظل بانتظار عودتك.

- على فكرة. متى تريدين ان اغادر المنزل؟ ارجو ان تعطيني مهلة كافية لأفتش عن غرفة غيرها...

نظرت لورين وجان اليها نفس النظرة.

- ولماذا تترك المنزل؟ هل تقصد عندما اتزوج من جيمس؟

هز رأسه موافقاً فأكملت حديثها:

- لا تهتم الآن بهذا الأمر. الوقت مبكر على هذا الموضوع. حتى لورين سألتني السؤال نفسه منزعجة وهي تريد ان تعرف الموعد... حين ستغادر

المنزل.

نظرت لورين نظرة تساؤ ل الى عيني جان ولكنها لم تجبه. قالت بريل:

- اريد رؤ ية والدتك من جديد. يمكننا ان نتحدث في ذكرياتنا الماضية واريد كذلك ان اخبرها عن جيمس. هل تعتقد انها تقبل دعوتي؟

سر جان لدعوتها والدته وقال:

- اسأليها وانا واثق بأن الفكرة ستروق لها كثيراً. وهي تحب الثرثرة مع الصديقات شأن كل النساء.

- وما رأيك بالرجال؟ الا يحبون الثرثرة ايضاً؟

- بالطبع لا. عقولهم في مستوى فكري ارفع بكثير. (التفت الى لورين) لقد وعدتك في السابق بأن اسجل لك بعض الملاحظات عن نظام مؤ سسة الصحافة وسأنتهي منها قريباً جداً. سأتحدث معك بشأنها قريباً واشرح لك بعض النقاط.

- اشكرك جزيل الشكر. هذا لطف منك. انا واثقة أنني ساستفيد منها.

- وانا ايضاً واثق من ذلك.

ذات امسية ذهبت لورين برفقة ماتيو للعشاء. ارتدت بدلة جديدة ذات لون فستقي محلاة بازرار برونزية لامعة. اعتادت ان تتجمل بسخاء ربما لتخفي خيبة املها وحزنها، وربما لترفع قليلاً من معنوياتها الكئيبة ونفسيتها المحطمة.

بعد ان انتهيا من تناول العشاء وهما يشربان القهوة سألها ماتيو فجأة:

- هل هناك رجل في حياتك؟

فوجئت بسؤ اله. اختنقت وسعلت واحمرت بارتباك. اعتذرت ورفت رموشها دون ارادتها...

- اعتقد انني عرفت جوابك.

نظر اليها ليتأكد من قوله ولكنها طأطأت رأسها وقالت حزينة:

- آسفة يا ماتيو. انه حب لا نهاية له. حب ميؤ وس منه.

- وهل استطيع المساعدة؟

هزت رأسها نفياً وقالت:

- لا احد يستطيع. نحن لا نستطيع ان نغير من طبيعة هذا الرجل. لقد قال لي بنفسه انه يفضل تشكيلة منوعة من النساء في حياته بدلاً من واحدة.

ـ وهل اخبرك ذلك بنفسه (هزت رأسها ايجاباً) قال لك ان النساء في حياته كالورود في حديقته (ضحك وهو لا يصدق) الصحافة تساعده في تحقيق تجاربه الرابحة. . .

ـ اننا نختلف في معتقداتنا ومبادئنا. . .

ـ وكيف ذلك؟

ـ انني مخلصة في حبي وهو غير مخلص.

ـ كم اتمنى ان اعرف مراده.

ـ ارجوك ان لا تسأله يا ماتيو.

وفي المدرسة سألتها آن عن علاقتها بشقيقها. . .

ـ علاقة ممتازة. نحن متفاهمان.

ـ وهل تحبينه؟

ـ بالطبع لا. حبي له يختلف. انني ارتاح لوجوده قربي. هل ترغبين في لقائه يا آن؟

ـ اذا كان وسيماً . . . وقوياً . . . وممشوق القوام.

ـ تعالي في المساء عند الثامنة وسأعرفه اليك.

ـ سأحضر. بالمناسبة، شكلك الجديد افضل بكثير من ذي قبل. اهتمامك بمظهرك باهر ولائق ويبرز جمالك.

ـ شكراً يا آن، كل ذلك بفضل تشجيعك لي وحسب نصائحك الثمينة. الم تطلبي مني ان اترك التزمت واشتري الاثواب الجديدة على الموضة؟

ـ ما رأي صديقك اياه؟

احمرت لورين خجلاً وقد فهمت على الفور قصدها. لن تخبر آن ما حصل معها ليلة الحفلة الراقصة ولن تخبر احداً. ذكرياتها الجميلة ستبقيها لنفسها ولن تفرط بها لكائن من كان.

ـ لا شيء جديد. . . لو كان هناك ما يقال لأخبرتك قبل اي شخص آخر يا آن، فأنت صديقتي المفضلة. على كل حال انتظرك هذا المساء كما وعدت.

اخبرت لورين ماتيو بزيارة آن المرتقبة في المساء. انتظروا قدومها في قاعة الجلوس، وحين حضرت رحبا بها ترحيباً صادقاً. كانت آن ترتدي معطفاً

جديداً وفستاناً احمر يليق بها.
قالت آن:
ـ انظري يا لورين الى فستاني الجديد. انه جميل اليس كذلك؟ ولونه احمر دافىء فانا احتاج الدفء في هذا الطقس البارد.
صافحت آن ماتيو وقالت:
ـ يدك دافئة ... هل انت كذلك؟
ـ انت على حق (ضحك وهو يغمز لها بعينيه) هل تريدين ان ابرهن لك؟
ظهر جان ورفعت آن يدها تحييه قائلة:
ـ تسرني رؤ يتك يا جان من جديد... لماذا طردتني من حياتك؟
ـ عزيزتي آن. لن اقبل ان يقول احدهم انني اعاملك كما اعامل بقية فتياتي فأنت تختلفين عنهن كثيراً.
ـ أليس هذا ما تقوله لكل واحدة منهن؟
هز جان رأسه ساخراً:
ـ انها سيرتي المميزة يا آن... والنساء يخوّهن الثناء (التفت الى ماتيو) هل انتم في اجتماع خاص؟
ابتسم له ماتيو وقال:
ـ انه يدعو نفسه للسهرة... هل لديكما مانع في ان ينضم الينا؟
قال جان على الفور:
ـ كنت سأقترح ان نصعد الى غرفتي لنشرب شيئاً هناك ونسمع الموسيقى...
قال ماتيو:
ـ لا مانع لدي.
نظر الى لورين وآن يستطلعهما الرأي.
قالت آن:
ـ حسناً:
وقالت لورين ممتعضة:
ـ من الواضح ان الجميع موافقون...
قال جان:

ـ هيا بنا. ولكن اعذروني على الفوضى في الغرفة. . .
توقف قليلاً واكمل:
ـ الأوراق في كل مكان قرب الآلة الكاتبة، كما انني اكدس الجرائد قرب الشباك وعلى الأرض وفوق السرير. . .
قال ماتيو:
ـ تريد ان تبرهن لنا انك تعمل بجد واجتهاد.
ضحك جان وقال:
ـ صدق او لا تصدق. انني اعمل بجد وتعب مع انني صحافي. (نظر الى لورين ساخراً) واتسلى بالعمل بين فتاة واخرى.
قالت آن:
ـ لا افهم لماذا تريد ان تبدو ماجناً وانت لست كذلك.
ـ صحيح؟ يمكنك سؤال زملائي.
قالت لورين في نفسها وهي حزينة: لا لزوم لذلك، فلقد سمعت رأيهم فيك سابقاً.
واكمل جان قوله:
ـ اذا كنت ماجناً او خلاف ذلك فهذا ليس مهماً. الصفات التي تلازم شخصيتي هي المهمة، اليس كذلك؟
قالت لورين:
ـ نعم. كذلك الصفات التي تلازم شخصيتي. فأنا مملة ومحترمة. . .
ضحكت آن مقهقهة وقالت:
ـ انتبهي يا لورين. لقد صمم ماتيو على انتزاع صفة الاحترام عنك.
كان ماتيو يحاول التقرب منها بشكل واضح.
قال جان:
ـ ماذا تشرب يا ماتيو؟
ـ شراب الكرز ولا اريد ان اشربه حلواً.
ـ وانت يا لورين؟ هل تشربين شراب الكرز حلواً؟
قال ماتيو:
ـ نعم هي تشربه محلى. لقد اصبحت اعرف ذوق لورين في الشراب لكثرة ما خرجت برفقتها.

قالت آن:
- ولكن جان لا يخرج مع فتاة واحدة فترة كافية ليتعرف الى ذوقها...
فقال جان غاضباً:
- لنغير الموضوع. موضوع النساء يضجرني.
- نتكلم في موضوع الرجال. لقد لاحظت يا لورين ان هوغ بدأ يهتم بك مؤخراً. انه يبدي الاهتمام الاكيد بك امام الجميع.
قالت لورين:
- انت على حق. لقد سألني ان اخرج معه للسهرة منذ ايام ولكنني اعتذرت منه.
- ربما هيامه بمارغو قد انتهى، او ربما تكون هي التي قاطعته ورفضت حبه. على كل (نظرت الى جان) بات الطريق امامك خالياً يا جان.
قال جان:
- تصرفات مارغو العابثة مع بقية الرجال لا تثيرني او تقلقني. دائماً تعود الى حظيرتها بأمان.
قالت لورين بهدوء:
- انت تقول انها مخلصة في حبها بالرغم من المظاهر الكاذبة؟ هي من النوع الذي يبقى مخلصاً الى الأبد...
قال جان بجدة:
- نعم. هي مخلصة مثلك...
وجدت نفسها في متاهات اقاويل مزعجة وقد توتر الجو. آن وماتيو يرقبانها دون ان يعرفا طبيعة النقاش او مراميه. صمتت لورين رغماً عنها.
نهضت آن واخرجت اسطوانة وهي تحاول ان تهدىء من توتر الجو وقالت:
- نحتاج للموسيقى الهادئة يا جان. هل نستطيع ان نستمع الى هذه الاسطوانة؟
قال جان مرحاً:
- طبعاً.
اخرج اسطوانة اخرى من بين الاسطوانات وادارها على الفور.
عرفت لورين الاسطوانة التي وضعها جان مسبقاً حتى قبل ان تسمعها.

كانت الاسطوانة التي استمعت اليها معه من قبل. انسابت الموسيقى ومعها الكلمات الجميلة للأغنية التي تقول:

«سأحبك. سأحبك حتى تجف مياه البحار...».

اغمضت لورين عينيها حتى تتفادى نظرات جان المعبرة. تذكرت حين سمعتها معه لأول مرة وهي في غرفته... فتحت عينيها بعد ان انتهت الاسطوانة ونظرت الى جان.

كان يحدق بها ساخراً ويرميها بنظراته الحادة المحرقة.

غير جان الاسطوانة ووضع غيرها.

قال ماتيو:

- هل اعجبتك الاغنية يا لورين؟

هزت لورين رأسها موافقة. ضمها ماتيو اليه بحنان. كانت افكارها تدور بسرعة، وكانت تتساءل: لماذا وضع جان هذه الاسطوانة الآن؟ لماذا؟ لماذا...؟

تمتم ماتيو في اذنها:

- ربما هي رسالة مني اليك...

ابتعدت عنه فزعة. انها ترفض هذا الرأي تماماً. كانت الاسطوانة التالية خفيفة وحالمة. صمت الجميع وهم يستمعون اليها.

اخرج جان علبة الشوكولا وقدم السكائر لماتيو ولكنه رفض شاكراً. اخذ هو سيكارة واشعلها بنزق ظاهر وسحب نفساً عميقاً منها.

دار الحديث بعد ذلك في امور عادية. نزلت لورين برفقة آن لصنع القهوة وبعض الساندويشات والبسكويت والكعك الصغير. وحين عادتا بالطعام والقهوة شكرهما جان وقام الى درج صغير قرب سريره واخرج اربع تذاكر وقال:

- لدي اربع تذاكر لحفلة موسيقية في البلد. دعوة للصحافة. هل تذهبون؟

سأل ماتيو:

- ما هو برنامج الحفلة؟

- لا اذكر البرنامج بكامله ولكنهم سيعزفون «سيمفونية العالم الجديد».

ناول ماتيو اثنين وقال:

ـ هل تأخذهما؟
ـ بالطبع. ومع الشكر. (نظر الى لورين) لدينا موعد لنسمع الموسيقى.
هزت لورين رأسها موافقة وقالت:
ـ وانا احب الاستماع الى «سيمفونية العالم الجديد».
قال جان لآن:
ـ هل ابقي لنا تذكرتين؟
قالت آن مبتسمة:
ـ وانا احب ان ارافقك بكل سرور، ولكن أليس من الأفضل ان تدعو مارغو عوضاً عني؟
(ثم سالت)
ـ الأماكن الاربعة متجاورة؟
ـ نعم.
ـ كيف سنذهب؟ ربما يكون مزعجاً ان تمر علي لتأخذني مع انك تعيش مع لورين في منزل واحد...
قال جان مازحاً:
ـ سأمر عليك يا آن في الوقت المحدد.
قال ماتيو:
ـ وانا سأمر على فتاتي الجميلة ايضاً لاصحبها.
قالت آن:
ـ اتفقنا اذن. شكراً يا جان على الدعوة.
هز جان كتفيه دون اكتراث وسحب نفساً عميقاً من سيكارته. فتحت آن مفكرتها وقالت:
ـ اقترب عيد الميلاد. (نظرت الى لورين) هل اشتريت جميع الهدايا؟
ـ ليس بعد (نظرت الى ماتيو) علي ان ازيد في لائحة الأهل لهذه السنة. لدي عمي، زوج امي، وكذلك شقيقي...
امسك ماتيو لورين بشعرها قائلاً:
ـ اذا تفوهت مرة ثانية بكلمة «شقيقي» سأضربك يا آنستي. انا صديقك ولست شقيقك.
وترك شعرها ينسدل مرة اخرى.

بدأت لورين تفرك فروة رأسها من الألم الذي سببه لها ماتيو. قالت:
- حسناً يا صديقي . . . ولكنني لا اعرف ذوقك وما تحب ان اشتري لك من هدية . . .
- وانا ايضاً لا اعرف ذوقك ومع ذلك سأشتري لك شيئاً . . . اخبريني، هل يعجبك خاتم ماسي في اطار من البلاتين؟
دار رأس لورين. صعقت ولم تدر ما تقول.
اكمل ماتيو قوله:
- اهدئي. من يسمعني يعتقد انني اتقدم لخطبتك . . . وهل يعقل ان افعل مثل هذا امام الجميع؟
نظرت آن اليه مبتسمة بينما بقي جان صامتاً جامداً واشعل سيكارته الثالثة وسحب منها نفساً عميقاً.
تنهدت آن وقالت مازحة:
- أين اجد صديقاً يقدم لي الماس مع البلاتين؟
ضحكوا جميعهم. نظرت آن الى ساعتها تستطلع الوقت وقالت:
- آسفة جداً ولكن وقت عودتي قد حان.
شكرت جان على السهرة اللطيفة في غرفته. وعرض عليها ماتيو ان يوصلها بسيارته فشكرته ممتنة.
نزلت لورين لوداعها ثم عادت الى غرفة جان لتساعده في التنظيف. ساعدها جان في جمع الصحون والكؤوس ووضعها في الصينية المخصصة لها وقال لها:
- سأساعدك في غسلها.
- لا . شكراً. لا يضايقني تنظيفها وحدي.
- كما تريدين.
وتلامست ايديهما عفواً وهما يتناولان بعض الكؤوس. التهبت يدها من حرارة يده. نظرت اليه ونظر اليها، وتشابكت النظرات. كانت تعابير عينيه تخيفها وتثير اشجانها وعواطفها الكامنة. شعرت بانجذابها اليه رغماً عنها.
رفع حاجبيه متسائلاً:
- ماذا حصل؟

احمرت وجنتاها وحملت الصينية وركضت خارجة من الغرفة وهي واثقة من انه يقف مبتسماً ابتسامة النصر.

٧ - وحيدة، ولكن. . .

اشترت لورين ثوباً جديداً لحضور الحفلة الموسيقية. انتقته من اللون الأسود، مفتوح الصدر يظهر جمال جيدها بشكل مغر. قالت بريل عندما ألقت عليها نظرة:

ـ الفستان انيق يبرز جمال عنقك يا صغيرتي ويزيد من بياض بشرتك.

مشت لورين الى والدتها بغنج ودلال وقبلتها شاكرة.

ـ هنيئاً لي فانني احظى بكل مديحك يا اماه. رشي لي بعض الملح خوفاً من ان اصاب بالعين الحاسدة. مديحك يرفع من معنوياتي ويطيب لي سماعه في كل وقت.

ـ ولكنني اقول الحقيقة. لقد تغيرت كثيراً واصبحت شابة فاتنة بعدما خرجت من قوقعتك.

ـ لا زالت القوقعة قريبة مني وسأدخلها متى احتجت الى الانزواء. لا احد يعرف مكان وجودها او يراها سواي.

ـ صحيح. (ضحكت بريل) اليك عقدي اللؤلؤ. البسيه في جيدك فإنه يضفي على الثوب جمالاً ويزيدك فتنة. هل ستذهبين برفقة جان الى الحفلة الموسيقية؟

ـ لا، سيمر علي ماتيو لأن جان سيذهب برفقة آن.

ـ ولكن هذا التدبير سخيف. . . انت وجان تعيشان في منزل واحد.

ـ ومع ذلك ذهب يريد الخروج برفقة آن.

حضر ماتيو بعد قليل. وعانق بريل ولورين مرحباً. القى نظرة الى ثوب لورين الجديد وصفر اعجاباً بعد ان اطرى جمالها.

كان جان وآن ينتظرانها في مدخل قاعة الحفلة الموسيقية. دخلت لورين برفقة ماتيو وتنفست الرائحة العطرية التي كانت تعبق في مدخل القاعة من وجود مزهريات كبيرة مليئة بالزهور في المدخل، كأن الربيع قد اقبل برياحينه العطرة. ارض المدخل مفروشة بالسجاد الطري مما زاد في راحة الحاضرين. احست لورين ببهجة لم تعرف اسبابها، وفي محاولة لتبرير شعورها المرح قالت في نفسها: سأمضي ساعتين ساحرتين برفقة جان، وسنشارك في سماع الموسيقى التي نحب...

بدأت حشود الوافدين تتدافع للدخول الى القاعة. كان جان يرفع يده محيياً معارفه واصدقاءه وهو في طريقه الى القاعة مما يدل على كثرة اصدقائه وعلاقاته الاجتماعية الطيبة في محيط عمله. اكثر اصدقائه من رجال الصحافة او العاملين فيها. كان بعض اصحابه يقف ليعرفه على فتاته وهو بالتالي يعرفهم الى ضيوفه. كان يقف في بعض الاحيان يتكلم معهم في شؤون العمل ولو لدقائق قليلة...

واخيراً وصلوا الى المقاعد المخصصة لهم. دخلت لورين وتبعها ماتيو ثم جلست آن، واخيراً دخل جان ليجلس قربها. مقعدها بعيد كثيراً عن مقعده... ربما تعمد ذلك ليبتعد قدر الامكان عن الارتباط بها. وللحال تعكر مزاجها وبانت خيبة املها في عينيها.

نظرت من مكانها تراقبه. كان يقترب برأسه من رأس آن وهما يقرآن معاً برنامج الحفلة المقرر. شعرت لورين بالغيرة تملأ كيانها ولكنها ضبطت اعصابها على الفور اذ ليس من المعقول ان تغار من اقرب صديقة لها. غيرتها الآن لا مبرر لها. ولكنها حسدتها لقربها منه ولمشاركتها اياه قراءة البرنامج بشكل ودي.

سحب ماتيو يدها واحتواها بين يديه وقال متودداً:

- ما بالك يا حبيبتي سارحة في بحر احلام اليقظة... تعابير وجهك تنم عن بعض الانزعاج وقد غابت الفرحة التي كانت تطل من عينيك منذ فترة قصيرة. ما الأمر؟

تمتمت معتذرة:

- آسفة يا ماتيو.

دخل أفراد الاوركسترا وجلس كل في مكانه. ناولها ماتيو برنامج الحفلة

وقرأه معها ورأساهما متقاربان بود ظاهر. قبلها ماتيو قبلة اخوية على خدها وتمنت لو شاهد جان ذلك.

قالت آن تخاطب جان:

- انظر الى عصفوري الغرام هذين.

ضحك ماتيو من قولها واعاد الكرة.

الفصل الأول من الحفلة الموسيقية ضم موسيقى لبتهوفن، وموسيقى لمؤلفين معاصرين. صفق الحاضرون تصفيقاً حاداً بعد انتهاء القسم الأول وخرج قسم منهم في فترة الاستراحة في طلب الشراب او للتدخين.

قالت آن تخاطب ماتيو ولورين:

- جان يريد بعض الشراب. ما رأيكما؟

هزت لورين رأسها موافقة وخرجوا جميعهم ببطء وتكاسل. ذهب جان وماتيو وعادا بالشراب المطلوب. سلم جان وهو في طريقه اليهم على المزيد من الاصدقاء والصديقات ثم انتحى جانباً يتكلم مع فتاتين جميلتين.

قالت لورين في نفسها: لا بد وانهما تنتظران دورهما للدخول الى حديقته...

كان جان يتكلم مع كل فتاة منهما باسهاب.

قالت آن تعلق:

- ما هذا يا جان؟

ضحك جان بانزعاج واضح بينما علق ماتيو قائلاً:

- لا تسألي اسئلة محرجة حتى لا تتلقي اجوبة محرجة...

قال جان:

- انهما صديقتان قديمتان.

ولم يرد ان يزيد في الكلام.

قالت لورين بخبث:

- هل هما وردتان قطفتهما من حديقتك؟

استغربت آن جرأة لورين على غير انتظار، بينما ضحك ماتيو كأنه يسمع نكتة فاضحة وبدا على جان ان لديه رغبة اكيدة في خنق لورين بيديه...

قرع جرس ايذاناً ببدء الفصل الثاني من الحفلة الموسيقية. دخلوا من جديد الى اماكنهم المخصصة. ذهبت لورين برفقة آن الى غرفة السيدات

ولكن آن تركتها وعادت الى القاعة ولم تنتظرها. وحين عادت لورين وجدت ان آن قد تعمدت استبدال مكانها معها. دخلت آن وجلست في بداية الصف بالقرب من ماتيو وتركت لورين تجلس بين ماتيو وجان.

حين جلست لورين في المكان الذي ترك لها شعرت ان جان قد تضايق من الترتيب الجديد. نظر اليها في الضوء الخافت نظرة مقرفة كأنها قاذورات تركت على عتبة بيته.

قالت لورين ببراءة:

ـ هذه الفكرة ليست من تدبيري.

قال جان:

ـ انها ليست ايضاً من تدبيري.

ورمى بالبرنامج في حضنها.

ادركت من تصرفاته انه لن يتقاسم واياها قراءة البرنامج كما فعل مع آن. لن يلمس رأسها برأسه او يده بيدها... دمعت عيناها دون ارادتها.

اخذت البرنامج ورمته في حضنه من جديد. تناوله كارهاً ولم ينبس ببنت شفة. اما ماتيو وآن فكانا يتحادثان حديثاً طبيعياً كأن شيئاً لم يحدث...

بدأت الموسيقى الساحرة تنساب. تشنجت لورين بعصبية من وجود جان قربها. اختل توازنها واهتاجت عواطفها ولم تدر كيف تهدىء من روعها. تفكيرها تركز في كونه قريباً منها. بدأت تتململ في مقعدها وتعبث باصابعها في حقيبة يدها. خلعت قفازاتها. طوت رجليها ثم فردتها وغيرت جلستها.

تنهد جان في اذنها وفهمت انه انزعج من تحركها الدائم. حاولت ان تخفف من حركتها ولكن يدها عادت تعبث في حقيبة يدها بحركة عصبية.

قال يخاطبها بلهجة آمرة:

ـ اجلسي هادئة يا امرأة. هيا اعطيني يدك.

اطبق باصابعه فوق يدها وتمتم:

ـ بحق السماء اهدئي ودعيني استمع الى الموسيقى. وان لم تهدئي سأمسك بيدك الاخرى ايضاً.

ارتبكت لورين من تصرفاته ونظرت حولها تستطلع. هل شاهد ماتيو ما حصل بينهما؟ ولكنه كان يجلس مأخوذاً بسحر الموسيقى التي كانت تملأ

القاعة بأنغامها الخلابة.

حاولت لورين ان تتملص من قبضته، ولكنه كان قد صمم على ان يبقي يدها بالقوة بين يديه. وببطء زال توترها تدريجياً واسترخت اعصابها وشعرت ان تشنجها قد هدأ. استراحت وتركت للموسيقى ان تملأ كيانها.

الموسيقى اعذب واعمق تأثيراً وهو قربها. شعرت بلمسته ترق وتزداد وداً وحناناً. كان بامكانها ان تسحب يدها من بين يديه الآن، ولكنها فضلت ان تتركها ترتاح معه. استرقت النظر الى عينيه وكذلك نظر هو اليها نظرة حانية. تبادلا الابتسام تلقائياً. تفاهما على الفور. وللحظات غمرها سلام وسكينة ... واعتقدت ان ذلك تم بفعل الموسيقى الساحرة التي غمرتهما ليس الا.

ومع انتهاء الحفلة خرجوا مسحورين مع بقية الحاضرين الى خارج القاعة... الهواء البارد استقبلهم على مدخل القاعة. وارتجفت لورين من شدة البرد.

نظرت آن الى ماتيو ثم قالت تخاطب لورين:

- أليس من السخافة ان يوصلني جان الى بيتي بينما انتما تعيشان في منزل واحد؟

قال ماتيو:

- هذا صحيح. سأوصل آن في طريقي وانتما اذهبا معاً. مساء الخير وشكراً على الأمسية الحالمة. تعالي يا آن لنخرج بسرعة الى السيارة.

اصبحا في الخارج قبل ان تتمكن لورين من فتح فمها في محاولة للاعتراض.

قال جان مخاطباً لورين:

- الظاهر اننا علقنا سوية من جديد. من المؤسف ان ذلك يزعجك.

وضع يده في ذراعها وسار بها الى سيارته.

قالت:

- من الواضح اننا علقنا.

حاولت ان تسحب ذراعها وتبتعد عنه.

- كفى تصرفات طفولية. انها ليست غلطتي اذا كان صديقك يفضل فتاة اخرى عليك.

دهشت لورين من تفسيره لما حدث، ووجدت نفسها تمشي بصحبته مطيعة صامتة. لم يتكلما في السيارة. وحين وصلا فتحت لورين الباب الخارجي بمفتاحها بينما ادخل جان سيارته الى المرآب. كان المنزل فارغاً لأن بريل تمضي سهرتها في الخارج مع جيمس. دخلت لورين الى المطبخ لتصنع شوكولا ساخنة. ووقف جان في الباب ينظر اليها.

سألته:

- ساصنع بعض الشوكولا. هل ترغب في ذلك؟

كان صوتها بارداً كالطقس في الخارج.

- احتاج لشيء يدفئني (رفع ياقة الجاكيت) توجد رطوبة في هذا الجو.

بقي صامتاً بينها انتهت من صنع الشوكولا. ساعدها بحمل الصينية الى غرفة الجلوس ومشت هي بالابريق. كانا لا يزالان يسمعان صدى الموسيقى الساحرة.

قالت لورين في نفسها:

- انه الرجل الهادىء... الرجل الذي احاول جاهدة ان اصل اليه دون جدوى. اريد الرجل الذي في داخله والذي يختبىء داخل غلاف سميك من السخرية والخبث.

قال جان ببرودة:

- هل اعجبتك الحفلة؟ هل تمتعت بوقتك؟

- شكراً. نعم.

- بالرغم من ذلك!

نظر الى ساعته ثم وقف وقال:

- حان وقت النوم (نظر اليها نظرة خبيثة وارتجفت بانتظار ما يمكن ان يحصل) الن تشكريني؟

- من اجل التذاكر؟

- ومن اجل توصيلك الى البيت.

- شكراً للتذاكر ولأنك اوصلتني الى البيت.

هز رأسه غير موافق:

- ليس كما يجب! اريد شكراً يوازي ثمن ما تكبدت من مصاريف (استغربت وبدأت تشك) الا تعرفين ما اقصد؟ وماذا ينتظر الشاب عادة

من الفتاة التي يعود بها لبيتها؟

- لا تكن غبياً. الأمر معنا يختلف.

- لماذ؟ انا لا اوافقك الرأي.

حاولت ان تتكلم في اي شيء لتبعد افكاره عنها:

- لقد سررت بالحفلة.

- لقد قلت ذلك من قبل.

اقترب منها ببطء.

- الاوركسترا عزفت بها. . . رة.

- اجل.

اقترب منها اكثر.

خافت من النظرة التي ارتسمت على وجهه وبدأ قلبها يسرع في ضرباته. ابتعدت الى الوراء ولكنه تبعها ببطء وتصميم حتى وصلت الى النافذة. امسك بها. حبست انفاسها. ليس هناك مهرب. ولم يعد بمقدورها المقاومة او الابتعاد. نظر الى وجهها وهو يبتسم وقال:

- هيا انني انتظر ان تشكريني.

لم تستطع ان تفعل. ارتبكت.

- اغلقي عينيك وتخيلي انني دواء مر عليك شربه والانتهاء منه.

ضحكت بعصبية وترددت. لم تستطع.

- ربما من الافضل ان تتصوري انني ماتيو امامك. . . ربما يساعدك ذلك. . .

مال نحوها ينتظر وادركت ان لا مفر من تلبية رغبته.

- مسكين ماتيو. هل تعاملينه هكذا؟

احاطها بذراعيه وقال؛

- سأعانقك كما اعانق مارغو. . .

حاولت الافلات. قال:

- لا. لا تفعلي ذلك. (ابتسم يستفزها) ان مارغو لا تقاوم. هي دائماً مستعدة.

مال عليها فأطبقت عينيها وغابت كلياً عن الوجود. . . غرقت في عواطفها وعاد وانتشلها كما ينتشل السباح الماهر الغريق. بقيت جامدة لا

تتحرك... لدقائق بقيت مصعوقة.

ابتعدت اخيراً بعد ان تركها. كانت مخدرة. جلست على كرسي قربها. وهما على هذا الحال سمعا مفتاحاً يدور في قفل الباب الخارجي. دخل جيمس بصحبة بريل. التقاهما جان عند مدخل غرفة الطعام. وبصعوبة فائقة لملمت لورين توازنها ورحبت بمقدمهما.

نظرت بريل اليهما وقالت:

- هل عدتما؟ كيف كانت الحفلة الموسيقية؟ هل استمتعتما بوقتكما؟

قال جان:

- تماماً، شكراً.

سأل جيمس:

- هل ماتيو هنا؟ اعتقدت انه سيكون هنا؟

فقالت لورين:

- لقد اخذ آن ليوصلها الى بيتها بينما عدت بصحبة جان.

قالت بريل:

- اعتقد ان ذلك اكثر ملائمة من التدبير الأول. اجلس يا جان. الوقت مبكر جداً لتذهب للنوم.

جلس جان على ذراع كرسي لورين ونظر اليها نظرة خبيثة ساخرة وقال:

- هل تمانعين في ان اشاركك كرسيك؟

- وهل تهتم كثيراً لرأيي؟

كانت لهجتها مؤنبة بينما نظرتها تشع حباً.

نظر جيمس اليها وقال:

- تبدين فاتنة يا صغيرتي.

قال جان:

- هي فاتنة دائماً وخصوصاً عندما تغضب. وهي دائمة الغضب معي.

- هل هذا صحيح؟ ألا تتفاهمان؟

- نحن نتشاجر دائماً. انها تصارع بمهارة فائقة وتصارع كل شيء يقف في وجهها حتى القدر.

نظرت اليه لورين مستغربة ما يقول، ولكنه كان يضحك ضحكة خبيثة

لم تفهمها. رمته بنظرة مؤنبة قاسية ولكنه لم يحفل بها بل ضحك مقهقهاً وقال:

- انظر اليها، انها تصارعني الآن بنظراتها الحادة.

قدمت بريل فنجاناً ساخناً من الشوكولا الى جيمس وجلس يشربه ببطء.

قالت بريل:

- الا تعتقد يا جان ان لورين قد خرجت من قوقعتها؟

فقالت لورين:

- لماذا تحبين يا اماه ان تتخيلي انني بزاقة اعيش في صدفة؟

امسك جان بوجهها وتفحصها بنظراته الخبيرة واجاب:

- لا اعرف بالضبط ولكنني لا زلت اعتقد ان لديها مخبأ سرياً صغيراً تهرع اليه متى تريد. (اضاف موضحاً) لا زلت احاول ان اغيرها ما استطعت، وانا دائماً مستعد لمساعدتها...

وقفت لورين بنزق واضح:

- لقد تعبت...

وقف جان ايضاً:

- افهم ما ترمين اليه. (ضحك جيمس وبريل) مساء الخير جميعاً (نظر الى لورين يستفزها من جديد) مساء الخير يا بزاقة.

رفع يديه ليحمي وجهه وهو خارج من القاعة.

اقترب عيد الميلاد واشترت لورين جميع الهدايا التي تلزمها. صنعت بريل كعكة العيد وزينتها باللوز المفروم. وقررت لورين ان تزينها بطبقة من الكريمة بينما والدتها خارج المنزل. تشنجت وهي تسمع جان ينزل السلالم باتجاهها. وقف في باب المطبخ يراقب عملها وهو يبتسم.

- انها تسيل اللعاب. كم اتمنى ان امضي العيد هنا لاشارك في اكلها.

نظرت لورين اليه نظرة باردة وسألته دون اكتراث:

- وهل يجب ان تذهب؟

- نعم. انها والدتي. لن اتركها تمضي العيد منفردة.

سألها:

- هل لديكم زوار في العيد؟

هزت لورين رأسها موافقة:
- جيمس وماتيو. سيحضرون كل يوم لعندنا. (نظرت اليه حانقة) هل تريدني في امر ما؟
- نعم. تذكرت وعدي لك في كتابة بعض الملاحظات عن عمل الصحافة...
- اذكر. ولكنني لم اعتقد انك ستفي بوعدك.
قال ساخراً:
- انا لا افي بوعودي؟ هذه صفة من صفاتي الحميدة التي تعتقدين انني احملها. ومع ذلك كتبت الملاحظات وهي جاهزة. اذا كنت غير مشغولة الأن يمكننا مراجعتها سوياً في غرفتي حيث اشرحها لك (كان يستزفها من جديد) هذا اذا كنت تثقين بشخص مثلي لا اخلاق له، وقح وصحافي...
- انا اثق بك.
- هل انت متأكدة؟ لو صرخت طلباً للنجدة فلا يوجد احد في المنزل لنجدتك.
دخلت غرفته متحدية. تبعها واغلق الباب دونها ورفع يديه الى اعلى وقال:
- يا الهي. الفتاة تثق بي...
ضحكا كثيراً.
جلست على كرسي قرب الطاولة ونظرت الى الاوراق التي امامها باهتمام وبدأت تقرأ... توقفت ونظرت اليه مستفسرة:
- لا افهم كيف يمكن لشاب في مثل ذكائك وعلمك ان يتواضع ويقبل ان يعمل في الصحافة...
نظر اليها نظرة قاسية وقال:
- قبل ان نكمل عملنا يجب ان اتوقف قليلاً لالقي محاضرة ضرورية عليك والا سيكون عملي كله مضيعة لوقتي ووقتك. (جلس على كرسي امامها وطوى رجليه وقال) كرهك واضح للصحافة وخاصة الصحافيين ومع ذلك هل تؤمنين ان القانون يجب ان يغلق مكاتب الصحافة بالقوة ويطرد الصحافيين من عملهم؟
- طبعاً لا!

- اوه. ولماذا؟
ترددت كثيراً قبل ان تجيب:
- اعتقد ان لهم دوراً في ايصال الاخبار الى عامة الشعب ليعرفوا ماذا يدور حولهم في العالم من احداث.
- حسناً. نحن نتفق على دور الصحافي وسنبدأ في الانطلاق من هذا المبدأ. . . هناك احداث تجري خلف الكواليس ولا يراها الناس ولكن الصحافي يبرزها في اخباره من اجل المصلحة العامة وينشرها في جريدته. هل توافقين؟ (هزت لورين رأسها موافقة) يجب عليك الآن الاعتراف بأن ربط الأحداث يتم بواسطة الصحافة اليومية، ويقوم بها المخبر الصحافي المدرب والمتخصص في كشف المعاني الخفية التي تدور خلف الأحداث.

وقف جان ينتظر جوابها. كانت لورين تفكر بما يقول ثم هزت رأسها موافقة مرة ثانية. سره تفهمها لشرحه وعاد يكمل محاضرته:
- يستطيع المخبر او المراسل الصحافي ان يكشف ما خفي من الأمور للناس العاديين. عمله ضرورة قصوى تعود بالمنفعة العامة على الرأي العام. الا يحق للناس معرفة ما يجري حولهم؟
- نعم.
- حسناً. والآن اخبريني: هل جميع الناس في مستوى علمي رفيع كمستواك؟
- طبعاً لا.
- اهم وظيفة للصحافي هي الاتصال بالرأي العام وعليه بالتالي ان يستعمل لغة سهلة ليفهم غالبية الناس ما يقول لهم في جريدته.

هزت رأسها موافقة.

واكمل يقول:
- لا يمكن للصحافي ان يكتب بلغة ادبية رفيعة ويستعمل كلمات لا يعرفها الا المتعلمون والمتخصصون في الادب واللغة، والا لما اشترى الجريدة من لا يفهم ما كتب فيها. الصحافي في رأيك يضر بالأدب واللغة ويقلل من شأنها لاستعماله الكلمات البسيطة والسهلة ذات الحروف القليلة والمقاطع الواحدة. لكن المراسل الصحافي يستعمل هذه الكلمات فقط ليتسنى لتسعة من عشرة اشخاص فهمها.

صمتت لورين وهزت رأسها موافقة من جديد على كل ما قاله. انه على حق. نظر اليها في صمتها يراقبها. ثم مد يده اليها قائلاً:
- اتفقنا. سلام.
وضعت يدها في يده وقالت ببراءة:
- هل تقصد الصلح بيننا؟
- بالطبع. (امسك يدها برقة ولطف) لقد تفاهمنا حقاً على الخطوط العريضة. (ابتسم ابتسامة عريضة) وكما يقول عامة الناس: سلام دائم.
تابعا عملهما بكل تفاهم واخيراً توقف قائلاً:
- احتاج لبعض القهوة. هل يمكنك صنعها؟
قامت لورين مسرعة ونزلت الى المطبخ وتبعها جان ليساعدها. حمل الصينية الى غرفته بعد ان انتهت من صنع القهوة وشرباها في الغرفة واكملا عملهما:
قال:
- هذا جميل...
- ماذا؟
- ان نتفاهم معاً بسلام. الحرب بين الأمم مضنية وكذلك بين الافراد. هي اكثر ايلاماً خاصة عندما يكون الخصم فتاة ذكية جذابة ومثيرة ومولعة بالقتال. (تشنجت لورين على الفور ولكنه طمئنها قائلاً) أهدئي. عليك الأمان.
رن جرس الهاتف... ركضا سوية ولكن جان قال:
- ابقي مكانك واذا كنت مطلوبة على الهاتف سأناديك...
نزل مسرعاً وسمعته لورين يقول:
- مارغو؟ ماذا تريدين؟ لا افهمك؟ ماذا؟ وصلت الآن من حفلة؟ انا؟ انني مشغول الآن. نعم اعمل مع الآنسة فارس. اعرف انها معلمة (ضحك) واعرف انني لن اتوصل معها الى نتيجة. سأجرب دائماً. (بدأت لورين تجمع اوراقها لتغادر غرفته) لا اعتقد انك تغارين من الآنسة فارس. لا. كما تقولين هي لا تناسب ذوقي... يمكنك الحضور اذا كنت ترغبين.
وضع السماعة وقفز السلالم وامسك بلورين وادخلها الى غرفته من

جديد.

- الى اين تذهبين؟ لم ننه عملنا بعد!

- اعتقد اننا انتهينا وعلي ان افسح المجال للزائرة الجديدة.

- بل ستمكثين!

- لا يمكنني - اغلق الباب بالمفتاح.

- ستبقين هنا. لدي اسبابي...

اجلسها عنوة على كرسي وقال:

- والآن اين وصلنا في بحثنا؟

- ارجوك. اريد ان اخرج.

- لا. حتى لو تهجمت علي كما فعلت من قبل...

رن جرس الباب الخارجي. تبعته لورين تريد الخروج في اثره. دفعها الى الداخل وتركها داخل الغرفة. وجدت لورين ان عليها ان تقبل بالأمر الواقع وتهيىء نفسها لمقابلة مارغو... منافستها. تحتاج لتوازنها وتفكيرها السليم.

ابتسم جان بخبث وهو يواجهها ببعض. استدارت مارغو اليه معترضة بوقاحة:

- يا عزيزي. اعتقدت انك وحدك في الغرفة.

ابتسم ابتسامته الخبيثة وقال:

- لا استطيع ان اخرج امرأة من حياتي لو رغبت هي التشبث بي... اليس كذلك؟

ابتلعت لورين غضبها وشحب وجهها. اقترب جان منها وجذبها لتبقى في جلستها. حاولت التملص ولكن اظافره اشتبكت في ذراعها بقوة وخشونة.

قالت مارغو:

- ماذا تنوي يا عزيزي؟ هل تريد ان نتنافس من اجلك؟

- ربما اجعلكما تغاران.

- لن اغار منها لأنني واثقة من انك لي وحدي.

جذبته ليجلس على كرسي قربها ثم وضعت ذراعيها حوله.

- لماذا لا تغازلني؟

سايرها جان حسب رغبتها ثم ابعدها عنه بقسوة.
قال:
ـ انت تحلمين... عليك ان تستفيقي يا صغيرتي.
هزت مارغو رأسها ببطء وقالت:
ـ ولكنني افضل ان ابقى هكذا حتى اتصرف بحرية اكثر وانسى خجلي.
ضحك جان ساخراً وقال:
ـ انت تخجلين؟ (التفت الى لورين وخاطبها) هل لديك مزيد من القهوة الساخنة؟
قالت لورين:
ـ اما سمعت الآنسة فرنش؟ انها تفضل ان تبقى على حالها...
خرجت لورين من الغرفة وتبعها جان قائلاً:
ـ لا تكوني لئيمة...
التفتت لورين اليه بنزق وقالت:
ـ وماذا تنتظر مني؟ انت تريدني ان ابقى في الغرفة لتجعل فتاتك تغار... ولتعرض علي تفوقك مع الجنس الآخر، ثم تنتظر مني ان اساعدك.
افلت زمام الأمور من يدها ولم تعد حذرة في كلامها او تصرفاتها. ارتفع صوتها غاضباً وهي تحاول ان تمسح دموعها المتساقطة. التفتت اليه قائلة:
ـ لماذا لا تعود الى فتاتك وتعطيها ما تطلب منك بحرية؟ ام انك لا تستطيع ارضاءها... من الواضح انها سترضخ راضية. انها صيد سهل وانا لست كذلك. عليك ان تبذل جهداً اكبر في اصطيادي. اليس كذلك؟
لا تهتم بأمري ارجوك.
انسابت دموعها سريعة على خديها وسمعته يقول:
ـ ساعمل بنصيحتك يا عزيزتي.
دخل غرفته واغلق الباب.
ذهبت لورين الى غرفتها حيث جلست على سريرها وغطت وجهها بيديها وبكت بحرقة. كانت تبكي وحدتها. الآن كما في السابق هي فتاة وحيدة وستبقى وحيدة. ليس بمقدورها ان تجذب رجلاً ولن تستطيع ان

تنافس اية امرأة، وخاصة اذا كانت المرأة مثل منافستها، مارغو. . .
خرجت مارغو بعد قليل من غرفة جان وغادرت المنزل. كانت لورين لا تزال تنتحب في غرفتها. قامت من جلستها تريد ان تحضر نفسها للنوم الباكر. لبست روب البيت وخرجت قاصدة الحمام.
فتح جان باب غرفته يريد دخول الحمام ايضاً. بدت ربطة عنقه محلولة وقميصه مفتوح الصدر الى الخصر. . . نظرت اليه لورين نظرة قاسية. جمد في مكانه بعد ان شاهد احمرار عينيها وتورمهما من كثرة البكاء. اراد ان يقترب منها ليلطف من حالها ولكنه امسك نفسه وعاد الى غرفته واغلق بابه ينتظر ان تنتهي. . .
في المساء التالي حمل جان صحونه الوسخة من غرفته ليضعها في المطبخ. ناولها الى بريل التي كانت تقف على المغسلة تغسل الصحون. كانت لورين قد حضرت نفسها للخروج بصحبة ماتيو.
تجاهلها جان وتكلم مع بريل. استدارت لورين وقالت له بطريقة تبدو عفوية:
- نسيت ان اشكرك لمساعدتك التي قدمتها لي البارحة. انني ممتنة من ملاحظاتك القيمة ونصائحك المفيدة.
هز جان رأسه ولم يتكلم.
اكملت لورين قائلة:
- سأجرب ملاحظاتك مع تلميذاتي في المدرسة.
هز جان رأسه ايضاً ولكنه لم يتكلم بل ظل وجهه قاسياً بارداً خالياً من التعبير. رن جرس الباب وركضت لورين تفتح. حضر ماتيو وفتح ذراعيه ليحتويها. هرعت لورين اليه راضية وللحال عاد جان الى غرفته صامتاً.
ذهب ماتيو برفقة لورين لمشاهدة مسرحية يقوم فريق من الهواة بتمثيلها من تأليف الكاتب الساخر برنارد شو. قام الممثلون بادوارهم خير قيام مما ادهش المشاهدين، واستقبلوهم بالتصفيق الحاد والحماس. . .
وبعد المسرحية تناولا طعام العشاء في مطعم قريب من المسرح.
سألها ماتيو دون مقدمات:
- هل لا زالت عواطفك متعلقة بجان؟
هزت لورين رأسها موافقة وقالت:

ـ انا آسفة يا ماتيو. . .
ضحك ماتيو بخبث وقال:
ـ اعتقدت ذلك لأنك لا تشعين سعادة الا في وجوده.
قالت بانزعاج:
ـ هل حبي له بهذا الوضوح؟
ـ انا خبير في هذه الأمور. . . ومع ذلك فلن افقد الأمل.
اوصلها الى البيت وعانقها مودعاً. نزلت لورين من السيارة ورفعت يدها تودعه بينما اكمل ماتيو طريقه واختفى في الظلام.

٨ - ... وأنت بعيد

آخر يوم من الفصل الدراسي والجميع تعبون مرهقون ينتظرون العطلة بفارغ الصبر. لقد انتهت امتحانات الفصل، والتلميذات ينتظرن موسم الاعياد والميلاد لينلن بعض الراحة من هموم الدراسة. ارادت لورين ان تطرح موضوع الصحافة عليهن للمحادثة وفي اعتقادها انه سيطرد الملل من رتابة الدراسة، ويجلب بعض البهجة والمرح لنفوسهن. دخلت الصف وقد ملأت حقيبتها بالجرائد اليومية والمجلات الاسبوعية.

من الصف الأول التكميلي الى صف المتخرجات، تجاوبت التلميذات معها بحماس ورغبة. فرشن الجرائد على الأرض ودرسن اسلوبها وتبويبها وحاولن تصنيفها وتحديد اهدافها ونوع قرائها.

لاحظن كيف تكتب القصة الواحدة بطرق مختلفة بين جريدة واخرى. قارنّ اسلوب السرد وتراكيب الجمل وقصرها. وعدّدن مقاطع الكلمات وحروفها بين المجلات الاسبوعية والجرائد اليومية.

قصصن تقارير الحوادث التي مرت بهن ووضعنها على ورق مقوّى وعلقنها على خشبة الاعلانات في الصف. استطاعت لورين ان تقودهن في اداء هذه التمارين باتباع الملاحظات التي قدمها لها جان. وكذلك ناقشت واياهن بعض الآراء. مثلاً: كيف تساعد الجرائد اليومية في تكوين الرأي العام؟ كيف يمكن لبعض الجرائد المأجورة ان تدس معلومات مغرضة على انها حقائق مسلم بها؟

- في الفصل المقبل سيكون عليكن تقديم تقرير عن صناعة الصحافة (ثم اقترحت) في الوقت الحاضر عليكن دراسة ما امكن من الجرائد اليومية

ومطالعتها بما تسمح به ميزانية كل تلميذة لشراء الجرائد.
في فرصة الساعة العاشرة اخبرت لورين صديقتها آن عن تجربتها المثيرة. تجمع حولها بعض المعلمات والمعلمين واستمعوا الى اقوالها. . .
كان بعض المعلمين والمعلمات ينظرون اليها باشمئزاز وعدم رضى. فهمت لورين ان الموضوع لا يروق لهم.
قالت احداهن:
- لا احد يجرؤ على تقديم ما قدمت في صفوفها.
ايقنت الآنسة فارس ان القصة ستصل الى مسامع المديرة قبل المساء، لأن احدى المعلمات سألتها:
- هل استأذنت المديرة لتقديم هذه التجربة في صفوفك؟ لا يمكنك ان تعتبري هذا الموضوع من ضمن المنهاج المقرر. . .
اعترضت الآنسة هريمسون وهي معلمة متقدمة في السن وصديقة للرئيسة قائلة:
- عملك لن يفيد التلميذات للنجاح في الامتحانات الرسمية. وهذا في رأيي ما ينتظر الأهالي مقابل الأقساط الباهظة التي يتكبدونها في تعليم بناتهم.
قالت لورين تدافع عن نظريتها:
- ربما أنت على حق، فالموضوع لا يدخل في صلب المنهاج ولكنه يساعد الفتيات على استعمال عقولهن وتفكيرهن ويتيح لهن فرصة للتعرف على ما يجري حولهن في العالم الخارجي. . . خارج اسوار هذه المدرسة القديمة والمحافظة.
قالت آن:
- يا آلهي كم تغيرت افكارك. لديك جرأة كبيرة لم اعرفها فيك من قبل. ربما هو تأثير صديقك الصحافي عليك. . .
- لقد ساعدني جان كثيراً في تغيير بعض آرائي (هزت رأسها بمرارة) وعندما يجد الوقت لذلك. فالحسناء الكاعب مارغو تأخذ معظم اوقات فراغه.
نظرت آن اليها آسفة:
- لا بد انك تجابهين منافسة عنيدة. انها حسناء فاتنة، أنيقة الملبس

وتملك جاذبية لا تقاوم ولا ينقصها سوى الذكاء . . . وعندما تتحلى الفتاة بجميع تلك الصفات فلن تحتاج للعقل.

اخبرتها لورين ما حصل معها حين كانت تعمل على هذه الملاحظات في غرفة جان، وكيف حضرت مارغو واستولت على انتباهه عنوة. . .

عبست آن:

- ولماذا رغب في ابقائك معه؟

- فقط ليزيد من لهيب غيرتها. . . أليس كذلك؟

- ولكنه لا يحتاج لذلك. فهي دائماً تشده اليها متى رغبت، وحتى حين تنبهر برجال آخرين لا تتخلى عنه. لقد اعترف هو بذلك. هناك لغز محير. على كل يا عزيزتي، تخلصي منه واطرديه من كيانك وتفكيرك. . . هذه نصيحة من صديقتك آن. ابعديه عن حياتك وركزي اهتمامك على ماتيو. هو متيم بحبك. وينتظر اشارة منك ليتقدم لطلب يدك. انه شاب طيب وتتمناه كل فتاة.

انتهى الفصل وبقي اسبوع واحد قبل حلول عيد الميلاد. نزلت لورين الى السوق واشترت ما يلزمها من الهدايا، ووقفت في الصف في موقف الباص تنتظر دورها لتصعد عائدة بمشترياتها الى البيت. اقتربت سيارة جان من الموقف وفتح لها الباب قائلاً:

- ادخلي يا لورين.

دخلت بسرعة وشكرته. وضعت مشترياتها قربها في السيارة وتابع سيره وسط الظلام والازدحام.

هل تنتظرين العيد بفارغ الصبر؟

- تقريباً. وأنت؟

- تقريباً (ردد نفس كلماتها. ضحكا سوية ثم اكمل يقول) انا ذاهب غداً.

كانت تعرف ذلك جيداً. ذهابه يقلقها ويزعجها ويطرد النوم من عينيها. وكيف ستفرح او تمرح وهي تشتاق لرؤ ية وجهه او سماع صوته البعيد عنها؟

- وهل تشفقين على صحافي وحيد يا لورين وتقبلين دعوته للعشاء؟

فوجئت بدعوته وطريقته في الكلام وبقيت دقائق تفكر بما تجيب.

- اذا كنت مشغولة فلا تهتمي، لن احزن كثيراً وانت تعرفين جيداً ان عواطفي بليدة.

اجابته بتردد:

- ليس لدي ما افعله. شكراً، يسرني ان ارافقك خاصة وان ماتيو لن يحضر هذا المساء.

- ومارغو مشغولة في تجربة ثوب العيد الجديد.

ضحكا سوية من جديد. ثم قال:

- نحن وحيدان، كلانا بعيد عن رفيقه المختار.

هزت رأسها موافقة واستدارت بوجهها تتلهى بالنظر عبر النافذة، وتشاهد المارة محملين بالهدايا والأكياس والمشتريات ينتظرون في صفوف طويلة دورهم للصعود الى الباص والذهاب الى بيوتهم.

- هل تمانع والدتك؟

- لا. سيحضر جيمس للعشاء وبالطبع سيفضلان الانفراد. بعد العشاء لديهما موعد للسهرة عند صديق.

- سأمر عليك في السابعة والنصف.

قال وهو يدخل سيارته الى المرآب:

- سأنتظر سماع جرس الباب بفارغ صبر.

- بل سأقرع على باب غرفتك قرعاً عنيفاً خاصة اذا تأخرت دقيقة واحدة. ثم سأفتح الباب واخطفك.

كانت السعادة تغمرها وهي تخبر والدتها بموعدها للعشاء مع جان. نظرت اليها بريل متعجبة وسألتها:

- وهل يعلم ماتيو؟

- ماتيو؟ وما شأنه؟ على كل لن يحضر هذا المساء. وكذلك فهو لن يمانع.

- فقط كنت اتساءل يا صغيرتي ... انا ووالده...

ركضت لورين هاربة من المطبخ حتى لا تسمع تكملة الحديث: لورين وماتيو... وماتيو ولورين... من الواضح انهما ربطا الاسمين سوية...

ارتدت لورين ثوبها الذي ارتدته لحضور الحفلة الراقصة. كان ثوباً رقيقاً وقد اعجب جان به. خرجت من غرفتها والتقته في الممر ينتظرها.

نظر الى ساعته وقال:
- خمس دقائق قبل الموعد المحدد. هذا مدهش لفتاة في مثل جمالك...
- انا لا احب سماع المديح.
نزلت السلالم ركضا لترتدي معطفها وتخرج معه.
- هذه مشكلتي الكبرى معك.
تمتم وهو يتبعها:
- وأنت تبدو وسيماً...
- وانا لا احب سماع المديح.
ثم ضحكا سوية. نظر اليها وسألها:
- لا اعرف سبباً لمرحك وانشراحك (كان ينظر اليها بخبث) ستخرجين معي وليس مع ماتيو...
- وهل ابدو بديلة مناسبة لمارغو؟
- لا يوجد بديل لها.
ردد الكلمات كأنه يردد دعاية في التلفزيون.
كلماته ازعجتها وخففت من فرحتها. فقالت:
- الى اين سنذهب؟
- الى مطعم الصنوبرة. مطعم حديث ذهبت اليه في دعوة صحافية. انهم يقدمون طعاماً شهياً وجوّ ودي.
المطعم حديث البناء، انواره خافتة وجوّ مريح. كانت الفرحة تغمر لورين وهي تجلس بجوار جان في اريكة لاثنين وفي زاوية منعزلة. لائحة الطعام مطبوعة على شكل كتاب انيق. ألقت لورين نظرة سريعة على الأسعار وقالت:
- من الواضح ان الطعام باهظ الثمن يا جان.
- انا سأدفع يا لورين. هيا اختاري ما تريدين. انها فرصة سانحة. نادراً ما يخرج الشاب مع فتاته الثانية. (ابتسم ابتسامة عريضة واقترب بوجهه منها) عليك ان تقتنصي هذه الفرصة وربما لن تسنح لك مرة ثانية.
- ولماذا؟ هل ستطلق العزوبية وتتزوج؟
راقب جان لائحة الطعام التي بين يديه بامعان ثم قال:
- ربما.

ـ هكذا اذن (غمرها الحزن والأسى) توصلت مارغو معك الى المستحيل... لو اوقعت بك واحكمت الطوق حول عنقك وقامت بتدريبك لأصبحت الزوج المطيع المكافح. ابتسم ابتسامته المرحة ونظر الى لائحة الطعام من جديد كأنه يقرأ نكتة وقال:

ـ انت على حق. كل امكانياتي ستتفجر بعد ان اضع خاتم الزواج في بنصر فتاتي.

حضر الخادم وطلب جان الطعام بينما حدقت لورين حولها في الحاضرين. معظمهم من العشاق الشباب. نظرات الحب والوئام تلفهم. حسدتهم على تفاهمهم بينما قررت انها وجان يجلسان متباعدين اكثر من اي اثنين في المطعم.

قال جان:

ـ والآن وبعد ان راقبت المحيط حولك بتمعن ادهش الصحافي الخبير، اخبريني يا آنسة فارس عن ملاحظاتك...

هزت رأسها نفياً وسرت لأن الانوار الخافتة ستخفي احمرار وجنتيها، ولكن ارتباكها فضحها واصر جان على معرفة رأيها قائلاً:

ـ هيا اخبريني... لقد اثرت فضولي. ما رأيك؟

ـ جو مشحون بالعواطف، وهذا يؤثر كثيراً على الآخرين.

ـ ماذا ايضاً؟ (نظر الى العشاق المتهامسين وابتسم ابتسامته المرحة) فهمت سبب ارتباكك وهذا شيء يسهل تداركه.

اقترب منها حتى التصقت ذراعه بذراعها. تراجعت لورين قليلاً.

انزعج جان وقال:

ـ ولماذا فعلت ذلك؟

ـ وكيف نستطيع ان نأكل ويدانا متلاصقتان؟

ضحك جان لتعليقها وقال:

ـ هذا كل ما في الأمر. اذن سنعود ونتقارب وقت تناول القهوة. (نظر اليها يستفزها) انا دائماً مستعد للاقتراب ما امكن من فتاة فاتنة.

كلماته قاسية وجارحة. هي بالنسبة اليه فتاة، اي فتاة. فتاة دعاها للعشاء حين تعذر عليه العشاء برفقة مارغو.

انتهيا من تناول الطعام وشرب القهوة. احست بيده تلامس شعرها

المنسدل وتداعبه بحنان. ثم زحف بذراعه واحاط خصرها. تشنجت ولم تدر ما ينتظرها. تمتم باسمها بحنان: لورين ... لورين.

استدارت اليه ولاحظت انهما ليسا وحدهما. لقد انتصب رجل طويل امامهما.

قال الرجل:

- هذا انت يا جان!

سحب جان ذراعه وتبدل مزاجه على الفور. قست نظراته وجمدت تعابير وجهه.

- اهلاً يا جيم، ماذا تفعل هنا؟ كنت اعتقد انك لا ترغب في زيارة المطاعم الباهظة الأسعار...

- هذا صحيح. ولكنني هذه الليلة اريد ان ابهر فتاة جميلة قابلتها (نظر الى لورين وقال) انا واثق اننا التقينا في مكان ما!

قال جان:

- نعم. التقيتها في مكتبي يوم حضرت لتستعير مفتاح البيت...

قال جيم:

- صحيح. تذكرت. ولماذا تخجلين كثيراً يا معلمة المدرسة الصغيرة؟

قال جان:

- لأول مرة في حياتك اصبت في تفكيرك.

بدا عليه الانزعاج لوجوده.

صفر جيم وقال:

- يا الهي. لو كانت آلة التصوير معي... انتظر حتى اخبر الشباب في الغد.

امره جان قائلاً:

- اتركنا وشأننا واذهب لفتاتك الجميلة.

قال جيم:

- وهذا يعني انك تريد ان تنفرد بفتاتك الجميلة ايضاً. فهمت.

وبعد ان تركهما جيم بدا الانزعاج جلياً على محيا جان ورغب في الخروج. قال:

- هل انتهيت من شرب القهوة؟ لنذهب.

دفع فاتورة الطعام وهرع خارجاً الى سيارته وهي تلهث خلفه. قالت بعد ان استقرا في السيارة:
ـ ما الأمر؟ هل تخاف ان يخبر مارغو؟
ـ اذا كان تفكيرك يقودك لهذا الاستنتاج... لا بأس.
هدأت لورين وصمتت وهي تحاول اخفاء دموع الخيبة. كانت لا تريد ان تفسد هذه الليلة وذكرياتها الجميلة...
سألته:
ـ هل سنذهب الى البيت؟
ـ لا. اريد ان اتمشى قليلاً. سنذهب الى التلة فوق الحديقة العامة.
ـ ولكن الوقت لا يناسب. الظلام دامس ونحن في ديسمبر/ كانون الأول.
ـ قلت لك اريد ان اتمشى... واذا كنت غير راغبة سأوصلك الى البيت واذهب وحدي.
ـ لا. احب ان اتمشى ايضاً.
اوقف سيارته وشرعا يصعدان التلة. الظلام دامس ولا قمر ينير طريقهما. امسك بيدها وقادها صعوداً.
الهواء قارس للغاية مما جعل لورين ترفع ياقة معطفها اتقاء البرد الشديد. ارتجفت وودت لو كانت ترتدي كنزة صوفية فوق ثوبها، ومع ان معطفها سميك ومن الصوف الا انه لا يرد البرد القارس. كانت السماء صافية مليئة بالنجوم. احاطها جان بذراعه ولف يده على خصرها وشدها اليه وصعدا سوية بسلام. عاد الرجل الهادىء الذي يختفي وراء المظاهر القاسية... وعاد الرجل الذي تحبه دون جميع الرجال.
قالت مبتسمة:
ـ من يرانا يعتقد اننا عاشقان.
ـ أليس هذا صحيحاً؟
استدارت بسرعة تستوضحه الأمر. قال:
ـ لماذا تتعجبين؟ انا احب وكذلك انت...
صمتت من جديد واتهمت نفسها بالغباء لأنها سمحت لآمالها ان تخدعها. قال:

ـ لماذا الصمت والهدوء؟
ـ ألست انت ايضاً صامتاً هادئاً؟
ـ أنا احب الهدوء.
ـ وانا ايضاً.
اطبق بشدة على خصرها وضغط ضغطاً خفيفاً وقال:
ـ انت امرأة غير عادية . . . امرأة تحب الصمت والهدوء. امرأة تختلف كثيراً عن مارغو.
ـ بالتأكيد. ولكنك تملك طرقاً ووسائل لتبقي مارغو صامتة . . .
ـ طبعاً. انت شديدة الذكاء. على كل لا استطيع ان افعل معك ما افعله معها . . .
ـ ولماذا؟ (قالت ساخرة) لديكما اشياء اخرى. يمكنك ان تفعل معها ما يحلو لك.
وافقها مسروراً وقد عاد اليه مرحه وابتهاجه:
ـ انت على حق.
ابتعدت عنه قليلاً، ولكنه اجبرها على التوقف والنظر اليه وجهاً لوجه، ثم جذبها اليه. ولكن رجليها لم تعودا تقويان على حملها . . .
ـ سلام بيننا.
ـ سلام.
ثم تابعا الصعود من جديد حتى وصلا الى القمة. نظرا الى اسفل. العتمة تغلف المكان والسكون مريع والبرد شديد.
قالت:
ـ احب هذا المنظر في النهار. كنت التجيء الى هذه التلة مراراً. احياناً اترك مشاكلي خلفي واعود، واحياناً اصحبها معي واحلها هنا . . . دائماً كنت انجح.
نظرت اليه خجلة لأنها افضحت له عن مكنونات صدرها ومشاكلها . . .
ـ لا بأس. اعرف ان لديك بعض المشاكل. انت من الاشخاص الذين يتركون مشكلة ليعلقوا بمشكلة جديدة.
وضحكا. شبك اصابعه باصابعها وقال بحماس:

ـ هذه اول مرة تصعدين التلة في الليل. وهي ايضاً اول مرة لي. (شد على اصابعها بود وحنان) شيء فعلناه سوية لأول مرة وسنذكره دائماً. . . حين يفترق كل منا في طريقه. انت ستخلصين لزوجك، كائناً من كان، وانا، كما قلت في بداية السهرة، سأتبع المرأة التي سأتزوج. . .

كان صوته مبتسماً مع انها لم ترى ابتسامته.

ـ هيا. عليك ان تضحكي. (لم تتجاوب معه) ما الأمر؟

امسك بذقنها بلطف وادار وجهها اليه. وفي الظلام رأى تساقط دموعها ولكنه لم يعلق. . .

ارتجفت من جديد من شدة البرد.

قال:

ـ علينا ان نعود.

امسك بيدها وركضا نزولاً حتى وصلا السيارة.

وفي البيت اجلسها على كرسي وصنع لها فنجاناً ساخناً من الشوكولا. وقال:

ـ سهرة عيد الميلاد قريبة جداً. . . هل انت متحمسة للعيد؟

قالت في نفسها: «ولماذا التحمس وانت بعيد؟».

ـ كنت اشعر بالحماس وانا طفلة والآن كبرت ولم اعد اتحمس للاعياد.

ـ ولكن ماثيو سيكون قريباً منك.

ـ وما يهم؟ ماثيو مرح وكذلك والده. . .

ـ ستكون هناك حفلة عائلية صغيرة. . .

ظهر الحزن في صوته. . . ظنت لورين انه سيفتقد مارغو لأنه سيكون بعيداً عنها في تلك الليلة.

قالت مواسية:

ـ ولكنك سترى مارغو بعد عودتك.

بدأت لورين ترتجف من جديد. قال:

ـ عليك ان تدخلي سريرك ولا حاجة لانتظار عودة والدتك.

وضع ذراعه حول كتفها بعد ان اوصلها الى باب غرفتها. قالت:

ـ مساء الخير يا جان.

وفتحت الباب لتدخل.

ـ على مهلك. سأغادر باكراً في الصباح وقبل ان تستيقظي من نومك.
شدها اليه. كانت واهنة القوى لا تستطيع ان تقاوم. نظر الى وجهها فوجدت نظرته غريبة ووقحة. تراجعت الى الوراء. كان كأنه يقول:
ـ أنت تنادينني وعلي ان ألبي نداءك...
قالت معاتبة:
ـ هل انا مثل مارغو؟
هز رأسه غير موافق وقال:
ـ لا. ابداً. مارغو تناديني بوقاحة وجرأة...
ـ هذا يعني انني ادعوك ايضاً ولكن بطريقة مختلفة واكثر دبلوماسية.
ـ هذا صحيح. شأن النساء جميعاً. وانت امرأة مثلهن.
ـ ألست مملة ومضجرة ومحترمة؟
ـ نعم، كل النساء يرغبن في ربط حياتهن برجل الى آخر العمر (حاولت ان تتهرب غاضبة ولكنه امسك بها بشدة قائلاً) لا يمكنك النكران. أنت قلت ذلك بنفسك.
هزت رأسها غير موافقة:
ـ هذا صحيح. لقد بدلت اقوالي. ولكنك صحافي وهذا من طبيعة عملك. تحوير الكلمات وتبديل المعاني (ظنت انها ستغضبه بهجومها ولكنه ضحك... وضحكه ازعجها اكثر من غضبه) ما قلته هو... سأبقى مخلصة لرجل واحد مدى الحياة، حياتي انا. وان كنت لا اعجبه فهذا لسوء حظي انا.
ـ سيان عندي ان ألبي رغبة امرأة وقحة او امرأة محترمة، كلاهما يشبع غروري ويزيد من ثقتي بنفسي.
كان يضحك ببساطة ومكر. لا زال يمزح ويعتبر الأمور بينهما مزحة كبرى، مما زاد في رغبتها بالتهرب منه. حاول ان يعانقها من جديد ولكنها ابعدته بقوة وهي تصرخ في وجهه:
ـ لماذا لا تتركني وشأني؟ انا لست مارغو. أم هل انت بحاجة ماسة لبديل عنها ولو كنت انا البديل؟
تكهرب الجو بينهما. وقفا متباعدين يتنفسان بصعوبة. لمعت عيناه كالشرر من شدة غضبه. وبسرعة تمالك نفسه وعاد لسخريته المعهودة

وقال:

- من يقول ان معلمة المدرسة الشابة تملك لساناً لاذعاً مريراً كلسانك؟ انتبهي يا صغيرتي آنسة فارس... يوماً ما سيؤذيك لسانك شخصياً اكثر مما تريدين ايذاء الآخرين.

فتح الباب الخارجي ودخلت بريل..

- هل عدتما من السهرة؟ وأنت يا جان ستسافر صباحاً الى مانشستر، المسافة بعيدة وتحتاج للراحة.

نزل جان السلالم ليتحدث مع السيدة فارس ودخلت لورين الى غرفتها تستعد للنوم. هدأت ببطء وتمالكت غضبها وعاد اليها توازنها وهي تفكر بما سمعته... وبعد ان اتضحت الصورة في مخيلتها، تذكرت انها لم تشكره على السهرة... انتظرت صعوده الى غرفته وفتحت باب غرفتها بعد ان صممت على شكره. تركت كرامتها وراءها وخرجت الى الممر.

- جان؟ (وقف في باب غرفته ونظر اليها دون ان يبتسم) شكراً على السهرة والعشاء.

كان صوتها يرتجف ويبدو عليها الاستسلام. لم يجبها او يحرك ساكناً. بقي جامداً في مكانه.

نظر اليها يتفحصها من جديد كأنه يراها لأول مرة، ثم دخل الى غرفته واغلق بابه...

وحين استيقظت في الصباح كان قد ذهب...

٩ - هزيمة جديدة

بقي يوم واحد على العيد. مرت لورين من امام غرفة جان المغلقة بعد سفره وشعرت بحنين كبير وشوق اليه. لم يكن قد مر على سفره اكثر من ساعات قليلة ومع ذلك افتقدته بشكل مريع.

قالت بريل تخاطب ابنتها:

ـ يبدو عليك الارهاق والشحوب. هل أنت بخير؟

ـ نعم يا أماه.

لم تخبر والدتها بأن رجليها ضعيفتان لا تقويان على حملها، وشعور بالكسل والتراخي يجتاحها، فتحس بحاجة ماسة للراحة. أقنعت لورين نفسها بأن سبب شعورها غياب جان ليس الا.

قالت بريل:

ـ علينا صنع كعكة التوابل ولف بقية الهدايا. نعم، لقد نسيت يا لورين شراء هدية لجان وسينزعج ان لم تفكري به.

ـ ولماذا اشتري له هدية؟ انه ليس فرد من افراد العائلة وهو مسافر ولن يكون بيننا يوم العيد. (ارادت ان تقنع نفسها بأنها على صواب بينما والدتها هي المخطئة) ثم انه لم يشتر لي هدية فلماذا أربكه بهديتي؟

ـ يا عزيزتي لقد اشترى لك جان هدية وتركها لك في غرفته. لم ارغب في اخبارك قبل العيد... لقد ترك لك رسالة يتحدث فيها عن وردة في حديقة.

فرحت لورين كثيراً وانحدرت دموع الفرح على وجنتيها رغماً عنها. قالت في نفسها:

- لم ينس هديته.
وقالت تخاطب والدتها:
- أنت على حق اذن. يجب ان اسرع الى السوق واشتري له هدية قبل ان تغلق المحلات أبوابها بمناسبة الأعياد.
بعد ان تناولت غداءها نزلت لورين تجوب محلات بيع الألبسة الرجالية بحثاً عن هدية مناسبة. قررت ان تشتري له ربطة عنق على ذوقها. امضت وقتاً تفتش وتنتقي واخيراً قر قرارها على واحدة ثمينة وألوانها مشرقة، دفعت ثمنها راضية وخرجت راكضة الى البيت. وقامت على لفها وترتيبها وانتظرت مرور الأيام حتى يعود وتقدمها له بنفسها.
ساعدت والدتها في اعمال المنزل وتنظيفه استعداداً للعيد. سيحضر جيمس وماتيو يومياً بعد الفطور لتمضية أيام العيد. وبعد ان انتهت من اعمالها شعرت بالوهن يغلبها ولم تستطع ان تخفي الأمر عن والدتها...
قالت لورين:
- علي ان استريح في الفراش لأنني منهمكة ومتوعكة الصحة.
نظرت اليها والدتها بخوف:
- اعتقد ان عليك ملازمة الفراش بعد ان تتناولي هذه الحبوب المقوية لتتغلبي على المرض، وان شاء الله ستتحسنين في الغد.
- لا بد من التحسن، ولن اترك كل الحمل على ظهرك وحدك.
مرت وهي في طريقها الى غرفتها بغرفة جان... هل غيابه هو سبب مرضها؟ لا يمكن. ولكنه اثر تأثيراً كبيراً على حالتها السيئة اجمالاً.
شربت الحليب الساخن وابتلعت الأدوية التي احضرتها بريل، ونامت وهي تأمل ان تستيقظ بصحتها الكاملة.
ولكن المرض تمكن منها اكثر من السابق، وشعرت باجهاد وضعف اسوأ. حاولت النهوض من فراشها ولكن رجليها لم تقويا على حملها، وعادت ترتاح مجبرة. وتقبلت والدتها الأمر الواقع صابرة وجزعة خوفاً على ابنتها الوحيدة.
قالت بريل:
- انها الانفلونزا قد هدت عافيتك. عليك بملازمة سريرك.
- ومن سيساعدك في اعباء المنزل وخدمة الضيوف؟

شمر جيمس عن ساعديه ووضع مريلة حول وسطه فوق ثيابه، وقدم ما استطاع من مساعدة لبريل.

نشف الصحون ورتب مائدة الطعام وما الى ذلك.

قالت لورين تحادث ماتيو:

ـ والدك خدوم وقد مد يد المساعدة لوالدتي في اعمال المنزل وخفف عنها العبء.

قال ماتيو:

ـ وابنه كذلك...

ـ سيكون زوجاً مثالياً لوالدتي بعد الزواج.

ـ وكذلك ابنه مستعد للزواج، فقط لو تقبلين به.

ضحكت لورين كثيراً وشاركها ماتيو الضحك وهو يقول في نفسه: ربما وهي على ما هي عليه من الضعف، استطيع ان اقنعها لترضى بي زوجاً للمستقبل...

وبعد قليل ادارت لورين وجهها الى الحائط مبتعدة عنه، وفهم ماتيو قصدها فتركها ترتاح:

ـ سأراك فيما بعد يا حبيبتي.

لم تستطع لورين ان تأكل طعام العيد من الديك الرومي المحشي والسلطة. كان النوم يغلبها من شدة الاعياء. وفي المساء شعرت ببعض التحسن النسبي، فتجمعوا حول سريرها ومعهم لفائف الهدايا وقد صمموا على عدم فتحها الا بعد ان تستعيد لورين عافيتها ونشاطها وتشاركهم في تبادل الهدايا.

فتح ماتيو هدايا لورين امامها واحدة واحدة. قدم لها جيمس كنزة جميلة تناسب التنورة الجديدة التي قدمتها لها والدتها. وقدم لها ماتيو عقداً من اللؤلؤ مكوناً من دورين، وقال مازحاً:

ـ لقد تضايقت والدتك من كثرة ما استعرت عقدها واقنعتني بشراء عقد لك...

قالت بريل ضاحكة:

ـ هذا ليس صحيحاً. لقد اشتراه بارادته.

حمل ماتيو القفازات التي اهدتها له لورين ووضعها قرب قلبه بحركة

ودية.

خرجت بريل الى غرفة جان وعادت تحمل هديته الى لورين. فتحتها لورين فرحة وقرأت:

«الى الوردة التي رفضت ان تنمو في حديقتي».

(بائع الورد)

قالت بريل:

- لم افهم ما يريد ان يقوله لك.

ضحك ماتيو كثيراً بينما تعجب جيمس مما سمع ولكنه بدا مرتاح البال.

اخبرتهم لورين باقتضاب ما قصد جان بكلماته...

كانت هديته اسطوانة في غلاف زاهي الألوان لسمفونية العالم الجديد... ولم تستطع لورين ان تخفي دموع الفرح.

فهم ماتيو أسباب دموعها ولكن والدتها علقت قائلة:

- لا تحزني يا حبيبتي، ستتناولينه هديته حين يحضر بعد العيد.

- لقد نسي انني لا املك آلة فونوغراف ليتسنى لي سماع الاسطوانة...

قال ماتيو مازحاً:

- ربما سيهديك الفونوغراف في عيد الميلاد المقبل.

ضحك الجميع وتبادلوا التهاني والتمنيات.

ومع نهاية اليوم بدت لورين منزعجة تكاد تنهار. الضعف يغمرها والنعاس يغلبها حتى انها لم تقو على قراءة المجلات التي احضرها لها ماتيو لتتسلى بها. اغمضت عينيها واستسلمت للرقاد حين رن جرس الهاتف فجأة. استفاقت فزعة وسمعت والدتها تخاطب جان... احست برعشة لذيذة في كيانها.

قالت بريل؟

- اهلاً جان. هل امضيت عيداً سعيداً؟ نعم. شكراً. لورين مريضة وترتاح في سريرها. انها الانفلونزا. جان، لقد اعجبتها هديتك وربما ستحب انت ايضاً هديتها. هي مريضة حقيقة، منذ البارحة، ستحضر بنفسك لتستلم هديتك منها! (ضحكت) سأخبرها بذلك. اهلاً. سأخبرها بذلك وربما يفرح قلبها. هل والدتك قربك؟ اهلاً نانسي، كيف حالك؟

لم تهتم لورين بمتابعة الحديث على الهاتف بعد ان ترك جان السماعة. لقد فعلت هذه المخابرة فعل السحر واثرت فيها تأثيراً ملموساً. جرت الدماء سريعة في عروقها وزادت دقات قلبها. الفرحة غمرتها والسعادة اطلت من عينيها وحولها الهدايا التي استلمتها...

صعدت والدتها لتقول:

ـ سيحضر جان ووالدته مساء الغد.

ـ ولكن جان سيغيب ثلاثة أيام...

ـ لديه أسباب خاصة ويريد العودة وستحضر معه والدته. ستبقى في ضيافتنا أياماً قليلة. ستنام في غرفة جان وسينام هو في قاعة الجلوس فوق الأريكة. تأسف لمرضك كثيراً وهو يعتقد انه السبب في مرضك لأنك مشيت معه في الليل البارد... وهو يلوم نفسه.

هزت لورين رأسها موافقة وسألت:

ـ وماذا قال ايضاً؟

ـ فقط اضاف، انه يرسل اليك حبه.

نامت لورين نوماً عميقاً وحلمت احلاماً هادئة جميلة. وفي الصباح استيقظت متوردة الخدين مشعة العينين مما جعل ماتيو يعلق قائلاً:

ـ بت اعتقد ان مرضك حيلة وانت محتالة كبيرة. او ربما هو مرض نفساني والدواء الشافي هو في المخابرة الهاتفية التي تلقيتها ليلة البارحة.

وصل جان ووالدته وكانت لورين لا تزال طريحة الفراش، ولكنها جالدت وجلست في فراشها.

قالت بريل:

ـ من المؤسف ان تراك نانسي على هذا الحال من الضعف والشحوب، وكنت اتمنى لو تراك على طبيعتك الجميلة الفاتنة.

حين وصل جان أحست لورين بضربات قلبها تدوي في اذنيها كقرع الطبول. كانت والدة جان، نانسي، متوسطة الطول مليئة الجسم، في متوسط العمر، تقارب عمر بريل ولكنها تبدو اصغر منها رغم شعرها الرمادي. حادة العينين كجان، وابتسامتها دافئة حنونة خالية من السخرية التي لا تفارق ابتسامة ابنها.

قالت نانسي:

- يا آلهي. لقد كبرت. انا لم ارك منذ عشر سنوات، أليس كذلك يا بريل؟ منذ حضرت مع زوجك هنري ولورين لزيارتنا.

سألت لورين:

- وأين كان جان؟

قالت نانسي:

- في الخارج. أنت لم تقابليه ابداً الا عندما كنت طفلة في الثانية من عمرك، وكان هو في الثانية عشرة.

قالت بريل:

- صحيح. يومها ارادت لورين ان تجلس على ركبتيه وهو يرفض.

ضحك جان كثيراً وقهقه بصوت مرتفع بينما اكملت والدته تقول:

- شاهدنا لورين تزحف الى قرب مقعده. كان جان جالساً يقرأ في كتاب. بقيت تزعجه وقتاً طويلاً مما اضطره اخيراً الى وضع كتابه جانباً، ضربها واجلسها بعيداً عنه ثم عاد ليكمل قراءته.

- لا اذكر ذلك. (فرك بيديه مازحاً) كنت اعرف كيف اتعامل مع الجنس الأخر حتى وانا في تلك السن المبكرة.

نظرت والدته اليه تسأله:

- وماذا تفعل الآن لو حاولت ان تجلس لورين على ركبتيك؟

- يا آلهي. هذا غير معقول. لا اعرف ماذا سأفعل!

وضحك. احمرت لورين خجلاً من نظراته الخبيثة ثم سألته لتغير الموضوع:

- لماذا حضرت قبل الموعد المحدد لعودتك يا جان؟

اجابت نانسي:

- كنت اريد ان نبقى للغد ولكنه رغب العودة ليرى فتاة اشتاق اليها كثيراً. لم يخبرني عن اسمها، وانا لا استطيع مواكبة مغامراته التي لا تحصى...

قالت بريل:

- اوه، ربما يريد ان يرى مارغو. هي تتصل به دائماً وتأتي ايضاً لزيارته. (نظرت بريل الى نانسي) عليك رؤيتها... انها شابة فاتنة وأنيقة (التفتت الى جان وسألته) هل هي الحب الحقيقي في حياتك يا جان؟ ام تفضل ان لا

اسألك؟

قال جان متفلسفاً:

ـ هذا يتوقف . . . ماذا تقصدين بالحب الحقيقي؟ (ابتسم وهو ينظر الى لورين ويكمل حديثه) انت معلمة للغة الانكليزية وخبيرة في المعاني يا آنسة فارس، كيف تعرفين كلمة . . . حب، وكلمة حقيقي؟

ابعدت لورين نظرها عن نظراته الخبيثة وتجاهلت سؤاله.

قالت بريل:

ـ يحاول جان ان يتهرب من الاجابة يا نانسي . . . معه حق. الانسان حر في تصرفاته ولا يريد ان يتدخل احد في خصوصياته . . . أليس كذلك يا جان؟

ـ نعم. نعم.

خرج الجميع من غرفة لورين ليستريحوا في غرفة الجلوس وعاد جان وحده. قال:

ـ اهلاً لورين؟

كأنه يراها للمرة الأولى منذ عاد من مانشستر.

ـ اشكرك على هديتك يا جان. (مدت يدها لتصافحه شاكرة. امسك بها وشد عليها) المشكلة انني لا املك آلة فونوغراف لاستمع الى الاسطوانة التي اهديتني اياها.

ـ هذا هو السر. انني ادعوك لزيارتي في غرفتي لتستمعي الى الاسطوانة عندي. وعندما تدخلين . . . هل تعرفين ماذا سيحصل؟ ربما سأخبرك كما فعلت حين كنت في الثانية من عمرك . .

ضحكا كثيراً وجلس قربها فوق السرير.

ـ ابتعد عني حتى لا تصاب بالعدوى.

عبس قليلاً قبل ان يقول:

ـ آسف يا لورين. لقد تسببت لك بالانفلونزا يوم مشينا في الليل وصعدنا التلة. لقد افسدت عليك بهجة العيد. على فكرة، حضرت بنفسي لأستلم هديتي منك.

وبسرعة مدت يدها تحت مخدتها واخرجت لفافة جميلة واعطته اياها. استلمها منها وانحنى ليقبلها. ادارت وجهها خجلاً.

فتح هديته وبدا عليه الابتهاج وقربها من قميصه قائلاً:
ـ شكراً. سأرتديها حتى تبلى خيوطها. يبدو انها غالية الثمن، وسأحتاج الى سنين عديدة قبل ان تفنى. جاء دوري لشكرك. (عانقها فلم تقاوم او تتهرب. انساقت اليه كلياً ونسيت مرضها وضعفها) هل اشتقت الي؟
هزت رأسها موافقة وبذلك تم اعترافها الكامل بحبها له.
ـ ماذا؟ اشتقت الي بالرغم من وجود ماتيو قربك...
لم تجبه. بقيت صامتة. لف ذراعيه حولها من جديد بحرارة وعاطفة مشبوبة ثم نظر الى عينيها وقرأ حبها الواضح.
ـ لقد ربحت المعركة أليس كذلك؟
شعرت لورين بحزن عميق في داخلها وتساءلت:
ـ وأية معركة!
ـ لقد ادخلتك الى حديقتي رغماً عنك. لا يمكنك النكران. أنت وردة يانعة تنمو في حديقتي...
تغير لونه واشتد صوته حدة وظهرت النظرة الخبيثة في عينيه وهو يقول:
ـ ـ أنت تعرفين مصيرك. سأفعل بك كما افعل بورودي المزهرة... سأقطفك (مر بيده على عنقها بحركة مميتة) وارميك كالعشب اليابس... (ابتسم ابتسامة غريبة ربما هي ابتسامة النصر) لن تستطيعي ان تفعلي اي شيء يا عزيزتي الصغيرة ويا حبيبتي.
كان جان يتشدق ويفاخر. شعرت لورين انها وقعت في فخ مميت. وقعت في فخ رجل حاذق. حاولت ان تخلص نفسها من الفخ باستماتة وقالت:
ـ وماذا بشأن ماتيو؟ انه رجل طيب ومخلص وصادق ولا اعرف بعد ان كنت احبه.
ـ وانا لست صادقاً او مخلصاً أليس كذلك؟
ـ انت لست مخلصاً وانت بنفسك اخبرتني بذلك.
ـ وهل أنت واثقة ان ماتيو صادق ومخلص في حبه لك؟
تمتمت بصوت غير مسموع:
ـ اعرف انه يحبني...
ـ وهل تحبينه؟

رفعت جفنيها ايجاباً ولكن صوتها اختفى.

- انا اعرف من تحبين يا صغيرتي... (سخر منها) انك لا تحبين ماتيو بالتأكيد.

- يريد ان يتزوج مني (تمتمت) أليس هذا برهاناً على انه يحبني؟

ران الصمت بينهما. بدا الاستياء جلياً في محياه.

- انت تتهربين من حبي وتستخدمين ماتيو للهروب من حبي، ألا تخجلين من نفسك؟

تركها وخرج غاضباً لا يلوي على شيء.

دفنت لورين رأسها في مخدتها وبكت. لقد تعمد ان يذلها بعد ان اوقعها في غرامه وحرك عواطفها نحوه وجعلها تعتمد بأحاسيسها عليه وحده. استطاع ان يسيطر على عواطفها بمقدرته الفائقة في هذا المضمار بالرغم من امكانياتها العقلانية المميزة. وثقت به واحبته وستندم على حبها وثقتها الى آخر ايام حياتها.

قال ماتيو:

- ما الأمر يا حبيبتي؟

التفتت اليه ورأى دموعها. اخذها بين ذراعيه وبكت بحرية على صدره. ضمها اليه بحنان وربت على شعرها بلطف.

فتح جان الباب وقال:

- لورين. لقد احضرت لك الجرائد لتتسلي...

تمسكت بماتيو اكثر وتظاهرت بعناقه. بقيا لا يلتفتان اليه. وقف برهة ثم خرج غاضباً وصفق الباب وراءه.

سألها ماتيو عن سبب بكائها وحين اخبرته بما تشعر به هز رأسه مستغرباً وقال:

- عليك ان لا تصدقي كل ما يقول. انه يمزح وهو لا يعني نصف ما يقوله. عمله يحتاج للكلام وهذه بضاعته.

- انه يقصد كل كلمة قالها لي.

هز ماتيو كتفيه منزعجاً وقال:

- اذا كنت مصممة على روايتك فعليك ان تبعديه عن تفكيرك كلياً.

ابتسمت لورين بوهن وقالت:

ـ سأحاول. هذا هو الحل الوحيد لمشكلتي.

أجلت نانسي سفرها وبقيت في ضيافة بريل لعيد رأس السنة. نانسي رقيقة ولطيفة ومسلية. كانت تتكلم عن طفولة جان وتذكر بعضاً من طرائفه العديدة. وجدت لورين بعض السرور في حديثها. وكانت بريل تنضم اليها وتتحدث عن قصص طفولة لورين. كان جان يتناول طعامه في غرفة الطعام اثناء وجود والدته، وحين يستمع الى تلك القصص يبدو عليه الضجر وعدم الاكتراث.

ليلة رأس السنة ترك جان المنزل في العاشرة مساء. قال ان لديه موعداً مع رجال الصحافة ولم يحدد موعد عودته.

قال ماتيو مازحاً:

ـ وهل ستبقى لساعات الصباح الأولى؟

ـ وربما ابقى كل الليل خارج البيت (نظر الى لورين بخبث واكمل) وهذا يتوقف على الجو.

جمدت لورين وحاولت ان تخفي غيرتها الحقيقية واقتربت أكثر من ماتيو. ودعهم جان والقى نظرة ساخرة على لورين وصفق الباب وراءه بعصبية.

انضم جيمس الى العائلة في السهرة. تابع الجميع برامج التلفزيون المسلية وعند منتصف الليل تبادلوا التهاني مع بعض وغنوا فرحين مرحبين بالسنة الجديدة.

لم تشعر لورين بعودة جان من سهرته. وفي صباح اليوم التالي التقته على السلالم. كان يرتدي روب المنزل وهو في طريقه الى الحمام. منظره كسول ولا يزال النعاس يداعب اجفانه. نظرت اليه لورين نظرة استغراب وتساؤل. قال على الفور:

ـ لقد عدت متأخراً الى البيت. لم امض الليل بطوله في الخارج. هل تعتبرين تصرفي غير لائق؟

ـ ولماذا اهتم بأمرك؟ انا لا اهتم الا بماتيو وما يفعله وانا مسرورة بعلاقتي به. ولكن خيبة الأمل تبدو جلية عليك. ربما لم توفق بصيد لسهرة رأس السنة كما توقعت. ام هل فقدت جاذبيتك مع الجنس الآخر؟

تركته ومشت وقد بدا منزعجاً للغاية وبوده لو يعضها باسنانه ليشفي

غليله.

تركتهم نانسي في اليوم التالي عائدة الى بيتها. ودعت لورين بحرارة قائلة:

- ارجو ان تقبلي دعوتي قريباً يا عزيزتي. ارجو ان اراك في منزلي. احضري بصحبة جان في عطلة مدرسية.

وعدتها لورين ان تزورها في عطلة الصيف وقالت:

- افضل الانتقال بالقطار ولا اريد ان ازعج جان.

عبست نانسي:

- لن يكون طلبك ازعاجاً، أليس كذلك يا جان؟

- ازعاجاً؟ (نظر ساخراً الى لورين) لا لن انزعج ابداً. . . ولكنني لا انصحك بذلك. ربما ينفد الوقود من السيارة ولا احد يعرف ماذا سيحصل عندئذ. انا صحافي دون مبادىء او اخلاق. أليس هذا رأي لورين بالصحافيين؟

ضحكت نانسي وقالت:

- لا تهتمي يا لورين. انه يمزح كعادته. حتماً يسره ان يحضر معك لزيارتي.

قال جان:

- انا لست متأكداً (نظر في وجه لورين متفحصاً) وربما في الصيف تكون الأمور قد تغيرت تغيراً جذرياً في حياتنا.

نظرت والدته اليه متعجبة مما تسمع:

- هل صممت على الزواج يا بني؟ ارجو ان ارى فتاتك ولو مرة قبل ان تصبح كنتي. . .

- اعدك بذلك يا اماه قبل ان يتم ذلك.

دفعها دفعاً للخروج.

قالت لورين في نفسها وهي مجروحة الخاطر:

- سيتزوج مارغو قريباً جداً على ما يبدو.

مع الفصل الدراسي الجديد تابعت لورين مشروع الصحافة مع تلميذاتها. كانت تتكلم مع آن في غرفة الاساتذة وتشرح الخطوات التي تتبعها بصوت مسموع. سمعتها الآنسة غريمسون، معلمة اللغة الانكليزية

المسنة.

قالت الآنسة غريمسن:

أنت يا آنسة فارس مخطئة في عملك. لقد نصحتك من قبل ولم تسمعي نصحي. عليك ان لا تحيدي عن المنهاج المقرر. في رأيي انت تضيعين وقت التلميذات في موضوع تافه.

قالت آن متمتمة:

- انتبهي يا لورين لنفسك والا أصبحت عجوزاً شمطاء مثلها في المستقبل.

كانت الآنسة غريمسون تحتسي فنجان الشاي الثالث. شعرها رمادي معقوص كقرص مستدير فوق رقبتها. عيناها جامدتان لا حياة فيهما وتجاعيد وجهها واضحة ومخيفة. تحيط بعينيها هالة سوداء، وهي كثيرة الانتقاد لكل ما تراه حولها. تقليدية في ثيابها وطريقة تعليمها حتى الجذور.

قالت لورين بعصبية:

- لا. لن اصبح مثلها ابداً...

- ولماذا هذه المرارة في عينيك ونظراتك اذن؟ خيبة الأمل في الحب بادية بوضوح على محياك. انصحك ان تنسيه قبل ان يحطمك...

وبعد ايام قليلة طلبت رئيسة المدرسة الاجتماع بلورين في مكتبها.

قالت آن تواسيها:

- لا بد ان الآنسة غريمسون قد اخبرت الرئيسة عن مشروع الصحافة ... استعدي للاجابة ولا تدعي الحية الرقطاء تنال منك.

جلست لورين في مكتب الرئيسة وألقت نظرة فاحصة الى اوداجها المتنفخة وعينيها القاسيتين الباردتين. قصيرة وممتلئة في الأماكن التي لا تحتاج للامتلاء. مسنة... وستحال الى التقاعد بعد سنتين فقط.

نظرت الآنسة مالادي نظرة حادة مؤنبة الى لورين وقالت:

- سمعت انك يا آنسة فارس تتجاهلين المنهاج المقرر في مادة اللغة الانكليزية ولديك مشروع يبحث في الصحافة...

نهضت لورين لتنفي التهمة الموجهة اليها وقالت:

- هذا ليس صحيحاً يا آنسة مالادي. انا لا احيد عن البرنامج المقرر ولكنني اقدم بعض مواده بطرق حديثة ووسائل جديدة تساعدني في تعليم

اللغة الانكليزية.
ـ هل لي ان اسألك . . . كيف؟
ـ ضمن مادة تعليم التعابير المستحدثة في اللغة، هناك حاجة ماسة لتطوير اللغة حسب الحاجة اليومية. اخترت حقل الصحافة لأنه يشرح تطوير اللغة السهلة ويسهل على الفتيات فهم الهدف من تطوير استعمال بعض الكلمات، كما وانه يساعدهن على معرفة ما يدور حولهن في العالم خارج نطاق محيط المدرسة.
ـ لقد جعلت نفسك مسؤولة عن موضوع شائق. . . من أين استقيت معلوماتك في هذا الموضوع؟
ـ قرأت كتباً. . . ولدي صديق صحافي.
ـ صحافي؟ أليس من واجبك ان تتقدمي بطلب رسمي يخولك تدريس الصحافة يا آنسة فارس قبل الشروع في هذا العمل؟ آراؤك جريئة وتزعج معلمي الدائرة كلها. وكذلك ستتعلم الفتيات في الوقت المناسب ما يدور حولهن من اخبار عالمية. . . والى ذلك الحين علينا حمايتهن بكل وسيلة ممكنة. نحن في هذه المؤسسة التربوية العريقة في التقاليد نحارب التيارات الجديدة في التربية، لأنها تشجع على اللهو واهدافنا السامية تضيع في مثل هذه التجربة الخاطئة.

رفعت لورين نظرها الى صورة الملكة فيكتوريا التي تتصدر مكتب الرئيسة وقالت في نفسها: «بقي سنتان فقط وتتقاعد هذه الحيزبون. . .».

عادت لورين من عملها في الكلية التقنية تعبة محطمة وقد خبا حماسها بعد حديثها مع رئيسة المدرسة، وتمنت لو تتكلم مع جان وتطلب نصحه ولكن الاتصال بينهما مقطوع منذ عدة ايام. لقد تعمدت لورين الابتعاد عن طريقه وعاملها هو بنفس الاسلوب. فكرت بأن تتحدث مع ماتيو. . . قالت في نفسها: يستطيع ان يستمع ويتعاطف، ولكنه لن يستطيع ان يقدم النصح.

خلعت معطفها وسمعت اصواتاً تخرج من غرفة جان. قالت في نفسها: لا بد وانه يتسلى مع وردة جديدة من وروده.

وحين تناهت الى سمعها ضحكات ماتيو تسمرت في مقعدها. لقد اختلط صوت ماتيو بصوت مارغو. . . كانت تتسلى بصيد جديد، ماتيو.

تذكرت كلمات جان الساخرة وهو يقول لها: هل انت متأكدة من اخلاص ماتيو ومحبته؟ لقد دبر له مقلباً ليبعده عن حياتها كلياً.

لقد نصب جان فخاً لماتيو واوقعه في شراك مارغو. . . وفتنتها الطاغية. الحلقة المفرغة اياها. . . مارغو وهوغ والآن ماتيو ومارغو. . . التاريخ يعيد نفسه.

ثارت لورين ثورة عارمة اجتاحت اعصابها وعرفت للحال انها لا يمكن ان تتفادى المقدر. . . النهاية واضحة منذ الآن.

جلس جيمس يقرأ جريدته في غرفة الجلوس بينها والدتها تقوم ببعض الأعمال في المطبخ. حدقت لورين في نار الموقد تستلهمها بعض الأفكار.

قال جيمس:

- لا تدعي حزنك يرتسم على وجهك. انه يفسد شكلك وجمالك ويضيع الفرص من حياتك.

تفاجأت من دقة تعابيره. . . كأنه يقرأ افكارها على وجهها.

سألها:

- هل تحطم قلبك. . . هل هو ماتيو؟

- لا. انه رجل آخر. ولدي مشاكلي في عملي.

اعترفت له ببساطة بما يثقل كاهلها.

- هذا من تأثير جان عليك. لقد غير شكلك وآراءك.

- وما الخطأ في ذلك؟

- لا شيء يا عزيزتي، غير انك تقفين وحدك الآن دون مساعداته المعنوية. عليك ان تكوني واثقة مئة بالمئة من معتقداتك وآرائك، لتستطيعي ان تقنعي الآخرين بقوة اهدافك الجديدة.

- لقد بدأت.

- حسناً. تابعي نشاطك واتمنى لك حظاً موفقاً.

- انت تتكلم الآن كوالدتي. اصبحت متفائلاً مثلها. لقد انتقلت اليك العدوى.

- ولهذا السبب احبها.

قال مبتسماً بحنان:

حدقت لورين به مستغربة. لم تكن تعتقد ان احداً يستطيع ان يحب

والدتها كما احبها والدها من قبل... وخلال فترة قصيرة ستفترق عن والدتها لتذهب كل منهما في طريقها. عليها ان تصارع الحياة بمفردها.

واخيراً نزل ماتيو من غرفة جان يضحك بمرح، ورفع يده محيياً والده ثم مشى نحو لورين وقبلها قبلة خاطفة على وجنتها، قبلة اخوية.

قالت لورين تخاطب ماتيو:

- هل تمتعت بوقتك؟

- نعم. كم انا مسرور لتعرفي الى مارغو. انها فتاة فاتنة... هل تعرفينها؟

- نعم. بالتأكيد.

- تعالي الى فوق وانضمي الينا. انا واثق بأن جان لن يمانع.

- لا شكراً.

قالت في نفسها: «ليس في نيتي ان اشاهد مارغو تخطف مني رجلي للمرة الثانية».

ربت ماتيو على كتفها وقفز عائداً الى غرفة جان.

قالت لورين في نفسها: «لقد هزمت من جديد. علي ان اعترف بصراحة انني لا املك جاذبية ولا يمكنني ان احظى باهتمام رجل لوقت طويل...».

قال جيمس:

- لقد خسرت ماتيو يا لورين... وليس الذنب ذنبه.

- انا لا ألومه. أنا الملامة. لقد ابعدته عني بطريقة ما...

تبادلت بريل وجيمس نظرات تحمل معان عديدة. احست لورين انها اصبحت خارج نطاق حياتهما الفعلية. أصبحت وحيدة حتى قبل ان يتم الزواج بينهما... وستبقى دائماً وحيدة.

١٠- عدتُ الى قلبك

وضعت لورين حائطاً عازلاً بينها وبين جان وقررت أن لا تدعه يخترق خط دفاعها الجديد أبداً.

هو أيضاً لم يحاول ان يتخطى العازل بل تنازل كلياً عن التفكير بها أو بوجودها. أصبحا اذا التقيا لا يتبادلان حتى الابتسام. لقد مات كل ما بينهما تماماً.

في المدرسة الجميع يعطون بجدّ ونشاط ليوم الاستقبال المفتوح للأهل والاصدقاء، وكل من يرغب في التعرف على المدرسة وهيئتها التعليمية.

وبالرغم من تحذير الرئيسة للورين عن مشروع الصحافة، الا انها لم ترضخ لطلبها بل تابعت عرض المشروع على ورق مقوّى وعرضته على الحائط ليتفرج عليه زوار المدرسة في يوم الاستقبال العام.

دخلت الآنسة غريمسون الى غرفة صف لورين وشاهدت المشروع منشوراً بتفاصيله بشكل واضح.

قالت معترضة.

- اظن ان الرئيسة قد نهتك عن متابعة مشروعك التافه والذي تسبب في تضييع وقت تلميذاتك الثمين...

- اؤكد لك يا آنسة غريمسون انني سأتخلى عنه مباشرة بعد يوم الاستقبال وسأبقى بعد ذلك محافظة على التقيّد بالمنهاج المقرر.

لم تستطع لورين ان تخبرها ان الأمر قد خرج من يديها ولم تعد تستطع متابعة اساليبها الجديدة دون مؤازرة جان لها... لقد تخلت عن اعتقادها بفائدة التغيير كلياً.

وفي منتصف شباط (فبراير) التقى جان لورين في الممر قرب غرف النوم. نظرت اليه لأول مرة منذ أسابيع وشاهدت آثار التعب والاجهاد بادية على محياه. لا تزال تحبه كما كانت واكثر، وانزعجت من رؤ يته على هذه الحال.

قال:

- هدية الميلاد التي أعطيتك اياها (كان يسخر غاضباً) لا تزال على حالتها الجديدة دون استعمال... أليس كذلك؟ (نظر اليها مستفسراً) أعني الاسطوانة... سمفونية العالم الجديد. هل لديك مانع ان استعيرها؟ أريد ان استمع اليها من جديد.

- يمكنك استعارتها بالتأكيد.

دخلت غرفتها وجلبتها وناولته اياها.

- تعالي يا لورين لنسمعها سوية، فأنت تحبين سماعها ولهذا السبب اشتريتها لك.

قرأت لورين بعض الترجّي في نظراته مما شجعها على القبول. دخلت غرفته وجلست على كرسي مريح وتركت نفسها تنقاد مع سحر الموسيقى. وعندما انتهت الاسطوانة فتحت عينيها ونظرت اليه. رأت على وجهه نظرة حنان وشفقة عليها فكادت تصرخ من الألم.

قالت في نفسها: «انه يرثي لحالي ويشفق علي. هذا شعور مؤلم للغاية ولا احتمله».

نهضت لورين تريد مغادرة الغرفة. أمسك بها بشدة.

- ارجوك ابقي قليلاً.

جلس على كرسيه واخرج موسى صغيرة من جيبه وبدأ يلعب بها، يفتحها ويغلقها.

قال:

- لورين (كان يتردد في اختيار كلماته بهدوء) انا آسف لما حدث. (رأى نظرة استغراب في عينيها كأنها لم تعرف سبب أسفه. أكمل) بشأن ما حصل مع ماتيو ومارغو... اذا كان الانسان يحب شخصاً فهذا لا يعني ان الحب متبادل بينهما.

ظنت انه يتكلم عن نفسه. قالت في نفسها: هل كلامه يعني انه يحب

مارغو وهي لا تبادله حبه؟ ثم اردف مفسراً:
- أعني (مر بيده فوق شفرة الموسى القاطعة) حبك لماتيو لا يؤكد لك تلقائياً حبه لك. لقد رأيتك في العيد بين ذراعيه وتحققت أنك تحبينه كثيراً.

هزت لورين رأسها دون ارادتها وهي تقول في نفسها: «انا احبك انت وحدك ولا احب سواك. ولقد تقبلت الحقيقة بأنك لا تبادلني حبي».
- هل هناك ما استطيع ان افعله لأجلك...

جرحت الموسى يده وسال الدم من اصبعه وأغلق الموسى لاعناً شاتماً. ركضت اليه ملهوفة لترى عمق الجرح. فتشت عن منديل وربطت له جرحه لتمنع جريان الدم من عروقه. قالت:
- هيا الى الحمام لنغسل الجرح. ربما تكون الشفرة ملوثة.

نظر الى عينيها وشاهد ألمها واهتمامها بأن لا يتألم. ضحك مقهقهاً وقال مازحاً:
- كم يهمك أمري. لقد عدت الى قلبك وأعدت الحياة الى وجهك وكنت اعتقدت ان لا أمل في عودة علاقتنا من جديد.

قالت بعصبية واضحة:
- هل جرحت يدك عمداً... هل قمت بحيلة جديدة؟
- لا تكوني حمقاء يا فتاة. وهل يوجد رجل بكامل قواه العقلية يقطع يده عمداً؟

ولكن العملية نجحت في تقريبنا (كان يتشدق فخوراً. مال الى الامام وامسك بيدها. حاولت ان تفلت من قبضته ولكنه شدها اليه بحنان قائلاً) اجلسي قربي وهدئي من روعي وقومي على تدليلي. اغمريني بعطفك وحنانك. يا إلهي انا رجل وانت امرأة وانا احتاجك. انظري، لقد قطعت يدي وخسرت حب مارغو كما خسرت أنت حب ماتيو... دعينا نحن لبعض.

بقيت في مكانها مسرورة بملامسته وقربه منها. لم يزعجها انه رغب في وجودها بديلة عن مارغو. لقد اعتادت دور البديلة ما دام يستجيب لحبها له.

مدت يدها ولامست ربطة عنقه وقالت:
- انت ترتدي هديتي.

ـ هل لاحظت؟ (ابتسم) لقد ارتديتها كثيراً ومراراً.
مال برأسه اليها. احمرت خجلاً وسألته:
ـ لماذا يا جان؟
ـ لأنها أفضل واثمن ربطة عنق لدي.
سألها عن أحوالها في المدرسة. اخبرته عن مشاكلها مع الرئيسة وأنها ستتخلى عن مشروع الصحافة نهائياً بعد يوم الاستقبال في المدرسة. قالت له ان حماسها قد خبا. اشفق عليها وحاول اقناعها بالعدول عن رأيها... ضحك كثيراً وهي تسرد عليه طريقة الرئيسة في ادارة المدرسة وكيف تشبه ما كان متبعاً في زمن الملكة فكتوريا...
ـ اذن الاسبوع المقبل هو يوم الاستقبال (فتش في جيوبه وأخرج مفكرته وناولها اياها قائلا) ارجوك. اكتبي لي ملاحظة في مفكرتي فأنا لا استطيع الكتابة بعد ان جرحت يدي.
كتبت: «يوم الاستقبال في مدرسة لورين». سرّها ان يسمح لها بالنظر في داخل مفكرته. قالت:
ـ هل تقرأ خطي؟
هز رأسه موافقاً:
ـ خطك واضح مثلك تماماً (أخذ المفكرة من يدها وقال) سأرسل مراسلاً صحفياً ليكتب عن المشروع.
ـ لا حاجة لذلك يا جان، فالرئيسة تنزعج كثيراً من الصحافيين.
ـ لا تهتمي فالرجل الذي سأنتدبه لهذه المهمة يستطيع ان يتدبر أمره مع الرئيسة.
قام الى الحمام بمساعدتها وغسل جرحه وضمدته له ببعض الشاش والأدوية. قال:
ـ سأظل الى الأبد شاكراً لهذه الموسى التي أعادت «الأميرة النائمة» الى الحياة. (ابتسمت بخجل ودلال) ابتسمي. سأحضر آلة التصوير لالتقط لك صورة وأنت مبتسمة، فربما لن أحصل على بسمتك من جديد.
ضحكت كثيراً وأحست أن هموم الدنيا قد ازيحت عن كاهلها.
بدأ الأهل والاصدقاء يتوافدون الى المدرسة في يوم الاستقبال منذ الثانية بعد الظهر، وبقيت لورين في غرفة الصف حيث تعرض مشروع

الصحافة.

مقالات مختلفة عن قصة واحدة كما ذكرت في صحف مختلفة. عناوين مختلفة وجمل صغيرة تبيّن سياسة الصحيفة. أخبار منشورة في الصفحة الاولى وبخطوط عريضة، بينما الخبر نفسه قد نشر بخط عادي في الصفحة الثالثة في جريدة اخرى...

وهناك بعض الصور تبين كيفية تجميع وتبويب الجريدة.

دخل شاب واثق من نفسه الى غرفة الصف وقال:

- آنسة فارس؟ أنا ميلز مراسل جريدة والكلي المسائية.

- هل حضرت بناء لطلب السيد داربي؟

- نعم، موضوع الصحافة يهمنا وساكتب تقريراً عن العرض. (نظر حوله) اعتقد ان طلبي موجود في هذه الغرفة أيضاً. هل استطيع ان اقوم ببعض التحريات قبل ان اكتب تقريري؟

- تفضل. أرجوك ان تقول الحقيقة فقط ولا تسرف وتضخم جهودي أكثر مما ينبغي...

هل طلبت اذناً من الرئيسة؟

- مررت بطريقي الى مكتبها (توقف عن الكتابة) هل تمانعين بأخذ بعض الصور عن المعروضات (ابتسم يقنعها) لقد احضرت معي مصوراً صحافياً... الهدف من التقرير توطيد العلاقات الطيبة بين الصحافة والرأي العامّ.

- يمكنك أخذ الصور التي تشاء ما دام الأمر قد سوي مع الرئيسة.

دخل المصور وعرفته لورين للحال. انه جهم الشاب الذي شاهدته يوم العشاء مع جان في مطعم الصنوبرة... لقد ازعج وجوده جان كثيراً في تلك الأمسية. صافحها جهم وقال انه تذكرها. اخذ عدة صور للعرض ثم قال:

- نريد صورة لك يا آنسة فارس وانت تحملين الطبشور أمام اللوح الاسود. سنضع هذه الصورة بجانب المقال. هل لديك مانع؟

ازعجت لورين الفكرة ولكنها رضخت للأمر الواقع. كانت واثقة بأن جان يعرف ماذا يفعل حين أرسلها لكتابة التقرير. وبعد ان انتهيا شكراها لتعاونها وغادرا المدرسة على عجل.

بقي العرض حتى الخامسة والناس تدور في أرجاء المدرسة بحرية تامة. وبعد الخامسة حضرت آن لتغادر برفقة لورين وسألتها:

ـ كيف كان العرض؟

اخبرتها لورين عن الرجلين مندوبي الصحافة. وتعجبت آن ان يكون جان فعلاً مهتماً بعمل لورين، او ان عملها يستحق مراسلاً يكتب عنه في الجريدة. اخبرتها لورين ان جان دبر الخطة معها من قبل.

سألت آن:

ـ وهل ارسل مصوراً صحافياً أيضاً؟ الموضوع فيه بعض الغرابة... وهل استأذن الرئيسة؟ وسمحت له؟

حين عاد جان من عمله في المساء سألها:

ـ كيف جرت الأمور في يوم الاستقبال في المدرسة؟

ـ شكراً.

وأخبرته باختصار عما جرى من أمر المراسل... ولكنه كان في عجلة من أمره فلم يعلق على أقوالها.

نزعت لورين بمساعدة تلميذاتها ما عرضته في يوم الاستقبال عن مشروع الصحافة، وخزنته لوقت الحاجة.

تناولت الشاي واسرعت الى عملها في المدرسة الليلية وهي ترجو ان تلتقي جان بعد عودتها لتسأله عن المقال قبل أن يطبع وينشر. ولكنه تأخر كثيراً وتعبت من انتظاره وأوت الى فراشها على أمل ان تبحث الأمر معه وقت الفطور في الصباح.

ولكن جان غادر في الصباح الباكر دون فطور ولم تجتمع به... وحين وصلت الى المدرسة داهمتها العاصفة.

كانت الآنسة غريمسون زميلتها في دائرة اللغة الانكليزية تقف في قاعة الاساتذة ويداها مطويتان على صدرها والشرر يتطاير من عينيها تنتظر وصولها. قالت دون ان تبتسم أو تصبّح عليها:

ـ آنسة فارس. انت مطلوبة في مكتب الرئيسة فوراً.

ـ سأضع كتبي فوق مكتبي وأذهب.

وقفت الآنسة غريمسون تنتظرها كأنها سجان يخاف هروب المحكوم عليه. حدق بها المعلمون والمعلمات بكراهية واشمئزاز ومشت آن باتجاهها

وهي تهز رأسها اسفاً، وتمتمت في اذنها:
- لقد قمت بأعمال مريعة وستنالين العقاب.
- ماذا فعلت؟
- استغرب ما قام به جان ولا افهم كيف سمح بنشره.
- انا لا افهم. بحق السماء اشرحي لي الأمر.
قالت الآنسة غريمسون بنزق:
- يا آنسة فارس... لا يمكننا ان نترك الرئيسة تنتظر.
مشت لورين الى مكتب الرئيسة تتبعها الآنسة غريمسون لتتأكد من وصولها الى أيدي الاعداء. قرعت لورين ودخلت الى جو المكتب الكئيب. كانت واثقة بأن الآنسة غريمسون لا تزال تقف خلف الباب ليتسنى لها ان تسمع ما يدور بينهما من حديث.
ولكن لم يكن ما دار بين الرئيسة ولورين حواراً او حديثاً، بل كان شجاراً. انقضت عليها الرئيسة مالادي كالصاعقة وانهالت عليها بالاتهامات قبل ان تعرف لورين حقيقة ما يجري حولها.
قالت الرئيسة:
- عملك مقرف ولقد جلب الخزي للمدرسة والتقاليد العريقة التي تمثلها في حقل التربية والتعليم، وتستحقين الطرد الفوري من عملك. الا تخجلين مما قمت به من عمل سافل منحط؟ لا يحق لك ان تمتهني التعليم بعد اليوم.
استمعت لورين الى الرئيسة تمطرها بوابل من مفرداتها البذيئة وراقبت حركاتها وانفعالاتها وثورة غضبها... كانت شاردة وضائعة لأنها فعلاً لم تكن تعرف أسباب هذه الثورة العارمة التي انصبت فوق رأسها. ومع ذلك استمعت مشدوهة وهي تستمتع بهذه التمثيلية الهزلية التي تدور حولها.
توقفت الرئيسة قليلاً لتسترد أنفاسها واغتنمت لورين الفرصة لتسألها:
- هل من الممكن أن أعرف عما تتكلمين؟
سحبت الرئيسة نفساً عميقاً وقالت:
- انت لا تعرفين عما أتكلم؟
- لا أعرف.
هزت رأسها نفياً مؤكدة جهلها.

فتحت الرئيسة درجاً في مكتبها وأخرجت منه جريدة المساء وفرشتها على المكتب لتتمكن لورين من قراءتها. المقالة تتوسط الصفحة الاولى من الجريدة.

حدقت لورين لا تصدق ما ترى. قرأت بسرعة ما أمكنها وفهمت أسباب ثورة الرئيسة. هناك قرب المقال صورتان بالحجم الكبير لها بجانب المقال؟.. واحدة تمسك بيدها الطبشور قرب اللوح الاسود في الصف، والاخرى في حديقة المنزل وهي ممددة فوق بساط ترتدي لباس السباحة المؤلف من قطعتين باللون الأحمر القرمزي والذي اشترته من جزيرة صقلية في الصيف الماضي. كتب تحت الصورة: الآنسة فارس شابة جميلة، معلمة مدرسة تهتم بتلميذاتها في المدرسة وتجذب انتباه الشبان في بيتها.

شحب وجه لورين وخارت قواها وسحبت كرسياً جلست عليه. من غير المعقول ان يحصل لها ما حصل. ولكن كيف؟

تذكرت حين استلقت في حديقة المنزل تستمتع بشمس ايلول (سبتمبر) انها كانت وحدها في البيت. خرج جان ثم عاد دون ان تشعر به. وقبل ان ينضم اليها في الحديقة دخل غرفته وتمكن من أخذ صورة لها من نافذته بواسطة عدسة مكبرة استعملها مع آلة التصوير. تذكرت انها سمعت صوتاً غريباً وقررت في حينه انها ربما سمعت صوت نافذة تغلق في الجوار...

المقال المكتوب يفصّل اهداف المشروع ويطري بسخاء عملها ويطنب في مدحها... مهمة المعلمة في رأب الصدع بين المدرسة وعالم الصحافة المبهم. قال الكاتب: جهود الآنسة فارس كالنور الساطع الذي ينير ممراً مظلماً، خاصة وهي تعمل في مدرسة تقليدية رجعية...

احمرت وجنتاها خجلاً وفهمت أسباب العاصفة التي وقعت على رأسها. بقيت الرئيسة تنظر اليها باشمئزاز. ثم حملت الجريدة بيد ترتجف ورمتها في سلة المهملات.

قالت الرئيسة:

- لقد ارتكبت خطأ فادحاً وبالتالي لا يمكنك الاحتفاظ بمركزك ضمن هيئة التعليم في هذه المدرسة المحترمة بعد أن جلبت العار علينا جميعاً.

- ربما لا تصدقين يا آنسة مالادي ولكنني لست مسؤولة عما حدث (اختنق صوتها وانهارت رغبتها في الدفاع. كانت لا تفكر الا في خيانة جان

لها لقد سألت المراسل ان كان قد استأذن منك قبل الدخول الى المدرسة، وفهمت منه انه طلب السماح وأذنت له.

- لم يفعل. كل ما فعله انه دخل مكتبي في غيابي وتكلم مع السكرتيرة التي اعلمته بوجوب التفتيش عني ليحصل على الاذن. من الواضح الآن انه لم يجدني ولكنه بالرغم من ذلك اكمل ما حضر من اجله. على كلّ يا آنسة فارس (كانت ساخرة) لا يمكنك اقناعي ببراءتك. لقد وقفت امام اللوح ليأخذ لك صورتك وكذلك في منزلك. هزت لورين رأسها نفياً ولكن الرئيسة رفضت ان تستمع الى دفاعها.

كان تفكير لورين في تلك اللحظة منصباً على جان وعلى خيانته. لقد بقي مخلصاً لمهنته وبرهن انه قادر على ان يرمي أياً كان للذئاب، سواء كان صديقاً ام عدواً ما دام في عمله بعض الفائدة لمهنته.

قالت الرئيسة:

- انصحك ان تتقدمي بطلب عمل في مدرسة اخرى. مع انني اشك بان مدرسة محترمة ستقبل بك بعد هذه الفضيحة... لقد حذرتك ان تتخلي عن مشروع الصحافة لأنه ليس ضمن المنهاج المقرر، ولكنك ضربت بنصيحتي عرض الحائط وتابعت نشاطك... أنا لا أرى أسباباً تخفيفية تلطف من موقفك او تبرىء ساحتك.

ثم صرفت لورين باشارة من يدها.

وبمرور الوقت وجدت لورين ان كلمات الرئيسة لا تعذبها ولا ابتعاد زملائها عنها، كأنها مرض معْدٍ... خيانة جان وحدها هي التي تؤلمها اشد الألم. حاولت آن ان تتعاطف معها.

ابتسم هوغ وقال:

- لقد شهرت بنفسك يا لورين. هل هي نكتة جديدة لجان؟

عادت الى البيت واستقبلتها والدتها وهي تمسك جريدة المساء بيدها مسرورة. قالت بريل:

- صورتك في الجريدة جميلة للغاية.

- هذا أهم ما في الأمر؟ كفاك فخراً بجمالي. هل أخبرك رأي الرئيسة بي؟

أخبرتها باختصار ما ورد على لسان الآنسة مالادي...

- يا إلهي. لو كان جيمس هنا لاستطاع ان يهدىء من روعك ويخفف من غضبك.
- لا أحد يستطيع ان يهدىء من روعي... لا احد.
بكت والدتها حزينة. التفتت لورين اليها بغضب وسألتها ساخرة:
- هل المستأجر الكريم في الخارج... كعادته؟ ربما يخجل من مجابهتي بعد الذي فعله؟ لقد تجنبني في اليومين السابقين مع انه كان يعرف حق المعرفة ما سيحصل لي.
- لا تلوميه قبل ان تستمعي الى دفاعه.
- ألومه؟ ماذا تريدينني أن افعل؟ هل اقبله واشكره لأنني خسرت عملي بسببه؟
- لا اعتقد ان جان تعمد ذلك... هو ليس على هذه الشاكلة.
- لا تدافعي عنه يا اماه. هو المسؤول الأول. همّه ان يخرج قصة جديدة في جريدته... لا يوجد صحافي يستطيع ان يقاوم قصة جديدة. لا يفرّق بين صديق او عدو. الصحافي لا اخلاق له او مبادىء.
- لا تتكلمي عنه بهذا الشكل... انه ابن صديقتي نانسي (بدأت بريل تبكي من جديد). على كل حال، سيفيدك تغيّر مدرستك والخلاص من هذه الرئيسة المتحجرة. كدت ان تصبحي مثلها. لقد أثرت عليك كثيراً... تحتاجين لرئيسة شابة ومدرسة حديثة وبالتالي تتابعين آراءك الجديدة بحرية اكثر.
- سأخرج قليلاً.
- ربما ستمطر. والطقس بارد.
- لتمطر.
ركضت الى غرفتها وارتدت بنطلوناً أزرق ومعطفاً واقياً وخرجت قائلة:
- عندما يحضر جان أخبريه بصراحة رأيي الصريح فيه...
أغلقت الباب وخرجت تريد الحديقة العامة والتلة. ركبت الباص وبعد ذلك بدأت طريقها صعوداً. كانت ثورة غضبها عارمة وهي تصعد مسرعة. وحين وصلت الى القمة كان نفسها قد انقطع.
جلست تحت شجرة كبيرة ولم تبالِ بالرطوبة تحتها. بدأ المطر ينهمر فرفعت غطاء رأسها وحاولت ان ترتب افكارها.

هنا في وحدتها ستجد نفسها من جديد. ستحاول ان تحل مشاكلها. . . جان. . . ستهرب منه. ستبتعد عن طريقه. . . عملها. . . ستغير عملها وتفتش عن مدرسة اخرى. البيت. . . ستترك البيت. لن تعيش فيه تحت سقف واحد مع الخائن. . . وعلى كل حال، والدتها ستتزوج قريباً. ستجد غرفة صغيرة لتسكن فيها قريباً. . .

جان ومارغو. . . حتماً مارغو ستعود الى جان لأنه حبها الحقيقي. ستهجر ماتيو من جديد.

وما أن وصلت بتفكيرها الى هنا، حتى سمعت وقع أقدام تقترب منها. المطر ينهمر والظلام يخيم حولها وهي جالسة فوق الارض الرطبة. اصاخت السمع من جديد وتحققت ان الاقدام تقترب منها باصرار.

١١- الأول والأخير

وصل جان الى حيث جلست لورين. نظر اليها نظرة قاسية خالية من الشفقة وقال بلهجة واثقة:

ـ كنت واثقاً انني سأجدك هنا.

ابتسمت له ابتسامة خبيثة كأنها نمرة تتوثب للانقضاض على فريستها. قالت:

ـ أنت! (تنهدت تنهيدة عميقة) لماذا لا تتركني وشأني؟ أريد الانفراد بنفسي والابتعاد عن جميع الناس وخاصة عنك.

وقف جان صامتاً جامداً كأنه لم يسمع قولها.

ـ أرجوك اذهب لسبيلك (رغبت ان تجرحه بكلامها) وبذلك تكف عن ايلامي وتعذيبي. ألا يكفيك ما فعلته معي؟ لديك سلسلة كاملة من القصص المسلية تكفيك لتبلغ سن الشيخوخة، وتستطيع ان تتسلى بسردها على أصحابك... لقد انتهت التمثيلية الهزلية وكنت بطلها. (ارتفع صوتها حاداً وصرخت بغضب) اذهب. اذهب عني.

ـ أرجوك يا لورين ان تنصتي الى ما سأقوله.

ـ أنا انصت اليك؟ واستمع لأكاذيبك من جديد؟ لماذا؟ كيف تستفزني بالكلام وتسجل عليّ أقوالي وتفسرها على هواك؟ ومن يدري ربما تنشر أقوالي في الصفحة الأولى من جريدتك لتؤمن مزيداً من البيع...

ـ هل انتهيت؟

ـ لا!

جلس قربها على الأرض بالرغم من ان المطر يهطل والرطوبة في كل

مكان وقال:
- حسناً. استطيع ان أنتظر حتى تنتهي من هجومك.
- نعم. سأكمل. وسأطلعك على سري. لقد انتصرت في الوصول الى أهدافك. سأخبرك بما فعلته بي منذ دخلت حياتي. لقد... عزلتني كلياً من جميع أصحابي... جعلتني وحيدة. بتّ لا احتمل وحدتي. جعلتني أحس بها. صحيح انني كنت وحيدة قبل ان تدخل حياتي ولكنني كنت راضية بوحدتي... اما الآن فانني غير راضية لكوني وحيدة. لقد حرمتني اصدقائي واحداً واحداً: هوغ وآن واخيراً ماتيو.
- اخبريني الحقيقة! ما هو شعورك بالنسبة لماتيو (صمت) هل أحببته؟
لم تجبه عن سؤاله. رفع راسها بيده وأجبرها على النظر اليه وكرر سؤاله:
- هل احببته؟
لم تجبه. هزت راسها نفياً وقالت:
- لم أنته بعد من كلامي (تجاهلت سؤاله) لقد سرقت مني ثقتي بنفسي. سلبت مني مبادئي وآرائي واستبدلتها بآراء جديدة حتى أصبحت ضائعة بين المبادىء القديمة والحديثة.
اختفى صوتها من شدة الغضب والصراخ وتمتمت:
- لقد ضعت كلياً. (بلعت ريقها بصعوبة وانسابت دموعها على خديها) لقد حطمت سمعتي في المدرسة وطردت من عملي. عليّ ان أفتش عن عمل جديد في مدرسة اخرى. (التفتت اليه والشرر يتطاير من عينيها) وكنت انت السبب المباشر.
- انت مخطئة يا لورين... مخطئة في كل ما تقولين (حدق في العتمة واكمل) لن يعجبك دفاعي... ولكن صدقيني انني اكتشفت ما حصل مؤخراً بعد ان خرجت الأمور من يدي ولم يعد بالامكان التراجع... لم استطع ان افعل أي شيء حيال ما حدث في الجريدة. لو كان بامكاني ان أوقف المطبعة عن عملها لفعلت دون تردد.
- وهل تنتظر مني ان أصدقك؟ أنا أعرفك حق المعرفة وأعرف ان اخلاصك لعملك يأتي قبل كل اعتبار... وماذا بشأن الصور التي نشرت؟ والصورة التي أخذت في حديقة المنزل... من صوّرني غيرك؟

- اعترف انني اخذت تلك الصورة بنفسي...
- يمكنك ان تعترف ايضا انك عرضتها على زملائك في العمل واقترحت عليهم نشرها مكبرة في الصفحة الأولى... ما تفسيرك؟ كيف ستحل هذا اللغز؟
- حسناً. سأقول الحقيقة. كنت أحمل صورتك في محفظتي...
التفتت اليه مذعورة وصرخت:
- ولماذا؟
- لماذا؟ ألا تعرفين السبب الذي يجعل شاباً يحمل صورة فتاة جميلة في محفظته؟
- لتتباهى بها أمام زملائك... مع صور صديقاتك اللواتي يبلغ عددهن العشرات. كنت تغير صديقاتك باستمرار... او زهورك كما تسميهن... أنا لست واحدة منهن... لقد قلت لي ذلك بنفسك في عيد الميلاد.
مد يده الى جيوبه وأخرج محفظته ورماها الى الأرض بعصبية وقال:
- اليك محفظتي. انظري بداخلها لتري بنفسك عدد صديقاتي...
حملتها لورين بيدها وفتحتها وحدقت بداخلها وقالت:
- وهل تسمح لي بالنظر الى محفظتك؟
- نعم. فأنا أثق بك اكثر مما تثقين بي.
لامست لورين نعومة الجلد الثمين وتنسمت رائحة سكائره المفضلة. وبعد ان تفحصتها رمتها أرضاً من جديد وقالت بخبث:
- لقد سحبت من داخلها صور فتياتك وخبأتها في درج مكتبك قبل أن تحضر الى هنا... والا لم تكن لتسمح لي بالنظر اليها.
مد جان يده الى الأرض والتقط محفظته وأعادها الى جيبه. كان في قمة غضبه بحيث انها لم تره على هذا الحال ابداً. نظر اليها قائلا:
- لسانك يقطر سماً. لقد ابتلعت كمية كبيرة مما سمّم جهازك بأكمله. (قال ساخراً) يا عزيزتي الآنسة فارس، لقد اصبحت بأسلوبك وأفكارك وعنادك نسخة مصغرة عن رئيستك في المدرسة. لقد صممت اذنيك عن سماع الحقيقة...
هزتها هذه الحقيقة المرة وزاد سيل دموعها في العتمة.

قال:
ـ لقد استمعت اليك صابراً. سمعت جميع اتهاماتك ولكنك لا تريدين ان تستمعي لدفاعي ووجه نظري في الموضوع. أنت حقاً تريدين ان تبقي وحيدة... حسناً... سأتركك وحيدة وستبقين كذلك الى نهاية العمر.

تركها في مجلسها ومشى مبتعداً وسط العتمة والصمت.

رددت لورين كلمات الأغنية في نفسها: وداعاً يا حبيبي الوحيد، ودائماً الى حين...

الصمت يلف المكان الا من صوت المطر يتساقط برتابة فوق أوراق الشجر. رتابة صوت المطر تتناغم مع ضربات قلبها السريعة.

حدقت لورين في العتمة... لقد دفعته بعيداً عنها... وهو الرجل الوحيد الذي أحبته بصدق. لا تحب سواه ولا يمكنها ان تحب غيره في المستقبل. هو حبها الأول والأخير.

وقفت مسرعة. ركضت خلفه. تزحلقت وتعثرت وهي تنزل التلة لاهثة ولا ترى طريقها وسط دموعها المتساقطة مع المطر.

سمعت من جديد كلمات الأغنية التي تقول: سأعود اليك يا حبيبي لو ابتعدت عني مئات الأميال...

وصلت لورين اليه قبل ان يختفي ببطء من حياتها. كان جان يمشي متمهلا ويداه في جيوبه وقد رفع ياقة معطفه ليتقي الأمطار المتساقطة. نادته باسمه. توقف ثم استدار ولكنه لم يتحرك باتجاهها. انتظر وصولها اليه. وحين اقتربت منه وأصبحت على بعد أقدام توقفت ونظرت اليه بارتباك وخجل، وبدا واضحاً انها ستتراجع...

ـ حسناً. ما الأمر؟

فتشت عن وسيلة لتجعل الصلح بينهما ممكناً. كان عليها ان تخطو الخطوة الأولى بعد ان رفضت منذ قليل عرضه للتقارب...

قال مكرراً وبعصبية:

ـ ما الأمر؟

تلعثمت وهي تحاول ان تنطق بكلمات ولكن صوتها اختنق كلياً. استدار وفي نيته ان يكمل نزوله بعيداً عن طريقها... مدت يدها وأمسكت بذراعه. كانت لمستها حانية.

ـ جان... جان لا تتركني أرجوك.
ـ ولماذا؟ اعطيني سبباً واحداً.
ارتفع الجدار بينهما من جديد.
نظرت اليه في العتمة وقد اختلطت دموعها بالأمطار الماطلة... قالت:
ـ جان! (بقي في مكانه ويداه في جيوبه ينتظر ان تكمل جملتها) جان، أنا...
أمسك بكتفيها بلطف وقال:
ـ هيا انطقي الكلمة...
نظرت اليه وتمتمت:
ـ انا أحبك.
ـ يا الهي ظننت انني لن أسمع هذه الكلمة منك أبداً.
ضمها بين ذراعيه وغابا عن الوجود... واختلطت الدموع بالمطر. قال:
ـ حبيبتي لورين. آه يا حبيبتي (تمتم اسمها من جديد بمحبة وتفان). عليك ان تتزوجيني وبسرعة. (وأحاط خصرها بذراعه) أريدك زوجة لي (تمتم في أذنها) رددي قولك: اذا تزوجت رجلا طيباً سأخلص له مدى الحياة.
ـ سأخلص لك مدى الحياة ولن أهجرك ابداً ابداً...
همست بهذا مراراً وتكراراً وتوقف الزمن.
وبعد حوالى الساعة قال جان:
ـ علينا ان نعود الى المنزل. أريد ان أضمك...
ـ وماذا كنا نفعل اذن؟
ضحكا طويلا. أمسك بيدها وركضا التلة نزولا الى السيارة. وحين وصلا الى المنزل قال:
ـ بدّلي ثيابك المبللة بسرعة وارتدي غيرها. سأصنع بعض القهوة الساخنة والساندويشات. اشعر بجوع قاتل.
خلعت ثيابها وجففت شعرها المبلل ووضعت قليلا من مساحيق التجميل على وجهها ونزلت مسرعة الى المطبخ.

وقفت قربه وقالت:
ـ رائحة القهوة لذيذة.
ـ طبعاً، انها من صنع يدي. هيا ساعديني في حمل الطعام الى غرفتي... (حملت الفناجين) كالزوجة المطيعة.
دخلت غرفته راضية وأغلق الباب دونهما وقال:
ـ تعالي. لقد افترقنا طويلا.
فتح لها ذراعيه بطيبة خاطر.
الضوء خافت في الغرفة والمدفأة الكهربائية تملأ المكان حرارة ونوراً، والمطر يضرب زجاج النافذة دون انقطاع.
قال متمتماً:
ـ حبيبتي. هل أنت مستعدة لتسمعي ما سأقوله لك؟ لدي الكثير من الكلام... ويجب ان تكون الثقة متبادلة بيننا.
سألته بلهفة:
ـ اخبرني يا جان عن الصورة...
نظر اليها بلطف وحنان وقال:
ـ انها صورتك يا حبيبتي. لم استطع ان أقاوم اغراءك وجمالك... هذا صحيح يا لورين. لقد أحببتك منذ تلك اللحظة وحملت صورتك في محفظتي كي تتسنى لي رؤ يتك متى أردت كأي شخص يحب. (حبست نفسها وهي تسمعه يعترف لها بحبه) في يوم من الأيام وأنا في مكتبي، فتحت محفظتي أبحث بداخلها عن طوابع... وقعت صورتك سهواً. التقطها الشباب وتبادلوها وسألوا عمن تكون صاحبتها الفاتنة... اخبرتهم انك الفتاة التي حضرت الى مكتبي لتستعير مفتاح البيت. تذكروا زيارتك وأثنوا على جمالك، وحدق فيها كل واحد منهم بنهم وحين غضبت أعادوها الي...
مر بيده على شعرها بحنان:
ـ وفي يوم آخر سرقوها من محفظتي وعملوا منها نسخاً دون معرفتي. كان ذلك امراً سهلا حيث كنت احياناً اترك سترتي معلقة في مكتبي وانتقل بين غرف المكتب لأبحث في بعض أمور العمل مع رئيس التحرير او المراسلين او المصورين. ويوم طلبت من مراسل الجريدة ان يوافيني بمقالة عن يوم

الاستقبال في المدرسة. . ألفوا قصة بينهم. أنا لم أطلب من مصور الجريدة ان يذهب في تلك المهمة، ولكنهم كصحافيين متمرسين اشتموا رائحة الغرام الذي يجمعنا. . . هل تتذكرين العشاء في مطعم الصنوبرة؟ ورأوا ان ينشروا الخبر. كانوا يعرفون مدى انزعاجي لو عرفت حقيقة ما جرى ولذلك أبقوا الأمر سراً عني، ولم أرَ نسخة من الجريدة الا بعد ان خرجت من المطبعة وبعد فوات الأوان.

أضاف قائلا:

- شخصياً، أنا لم أضع عنوان المقال او الشرح تحت الصور. الزملاء هم الذين تولوا ذلك بأنفسهم. . . كانت المقالة موفقة، أليس كذلك؟ (جذبها اليه من جديد وأكمل) يا حبيبتي كان الصراع على أشده بين الحب والواجب. عرفت مسبقاً انك ستتورطين في مأزق لا مخرج منه ولكن لم يكن بيدي حيلة (اخذ نفساً عميقاً وقد استراح من عبء ثقيل وقال) وحين لم تنصتي الى دفاعي عن نفسي أيقنت ان الأمر انتهى بيننا الى الأبد.

- وماذا بشأن حبك لمارغو؟

- آه صدقيني، انني أحاول التخلص من مارغو منذ عدة أشهر.

- وقد استخدمت أخيراً ماتيو.

- نعم ولا. . . وهل تلومينني؟ لقد ضربت عصفورين بحجر واحد. . يوم حضرت مارغو وطلبت منك البقاء في غرفتي كنت أريدها ان ترى بنفسها انني احبك أنت، وكنت آمل ان تتفهم الأمر وتتركني وشأني. . . ولكنك رفضت ان تلعبي لعبتي. وأنا بدوري اعتقدت انك تحبين ماتيو.

- انا لا أحب ماتيو. كان صديقاً ليس الا.

- اعترفي اذن انك كنت تحبينني أنا. . . ماتيو يحب مارغو بجنون.

رفعت لورين حاجبيها متسائلة لا تصدق ما تسمع.

قال مؤكداً:

- انها الحقيقة. مارغو فتاة لعوب وتحب بسهولة. خطأها الوحيد انها لم تتخلَّ عني بسهولة. . .

ضحكا كثيراً قبل ان يقول:

- ستفتشين يا لورين عن عمل جديد. أنا لا استطيع ان اجعل زوجتي تعيسة وحزينة. (قهقه بصوت مرتفع وقال) اخبروني ان هناك وظيفة لتعليم

الانكليزية في الكلية التقنية (نظر اليها يستفزها) هل أتقدم أنا بطلب لهذه الوظيفة ام أنت؟ ولكنها وظيفة للمبتدئين ولا تناسب مقامي الرفيع!

فتحت لورين فمها لتعترض ولكنه وبسرعة أطبق عليه وأسكتها، قال:

ـ عندما نتزوج والدتك جيمس سنستأجر هذه الشقة لتكون لنا.

تنهدت بارتياح ورفعت يدها تسوي له ربطة عنقه التي أهدتها له في العيد وقالت:

ـ جان. ان كنت لا تحب مارغو كما تقول، فمن تكون تلك الفتاة التي عدت من اجلها الى لندن في عطلة الميلاد؟

ـ انها انت يا طفلتي الغبية. انت الفتاة التي تبعث الملل في نفسي والتي تتصرف بتزمت واحترام يفوق الوصف... أنت المعلمة. (نظر اليها مازحاً) ولكن أين ذهبت تلك الفتاة المتزمتة الرجعية التي التقيتها على عتبة هذا البيت يوم حضرت؟

ـ ذهبت مع الريح يا جان. لقد غيرتها بحيث انك أنت لم تعد تعرفها. ما هو انطباعك عني يوم حضرت؟ اخبرني!

ـ سأقول لك. انا صحافي متميز ومتدرب في سبر أغوار النفوس واستطلاع الامكانات الخفية في الناس. نظرت اليك في الأعماق واكتشفت الحقائق الباطنية في داخلك. كانت عيناك تفيضان بالنداء لكل خلجة فيّ... كنت مليئة بالامكانات الخفية التي تجذب الرجل.

ضحكت كثيراً وهي تستمع الى شرحه وسألته تستزيده ايضاحاً:

ـ ولكنك نظرت الي مستغرباً...

ـ هل تصرين على ان تعرفي؟ (هزت رأسها موافقة وأكمل) سمعت نداء يدعو الى الحب.

بدأت تشاكسه وتحاول ان تتملص ولكنه قال:

ـ اهدئي ودعيني أكمل حديثي فأنا لم أنته بعد (كان يبتسم وهو يشير الى نفسه باعتزاز) تدعو هذا الرجل بالذات. ولقد حظيت به الى نهاية العمر أليس كذلك؟

وبسرور متبادل برهنت له عن رغبتها الصادقة والأكيدة.

فتح الباب الخارجي ودخلت بريل. تحركت لورين من سباتها وقالت:

ـ جان، يا حبيبي. هيا لنخبر والدتي بالأمر.

ابتسم متكاسلا وسمح لها ان تجذبه ليقف معها في الممر.
- اهلا يا أماه (عانقها امام والدتها) انا صحافي وأحب ان اختصر الأقوال وأدع الافعال تنوب عنها.
فهمت بريل وأسرعت تقفز السلالم لتقبلهما مهنئة.
وسألته بلهفة:
- جان، هل اخبرت والدتك بالأنباء السعيدة؟
- لا. ليس بعد. (نظر الى لورين مبتسماً وقال) كنا صامتين خلال الساعتين الماضيتين.
قالت بريل:
- سأتصل بها الآن.
قالت لورين:
- ولكن يا أماه، الوقت يقارب منتصف الليل.
- سأتصل بها لو كانت الثالثة صباحاً.
اتصلت بريل برقم نانسي وانتظرت ان ترد. قالت تخاطب العاشقين:
- انني مستغربة امركما. اعتقدت انكما لا تتفاهمان... اخبراني الآن: متى جمعكما الحب؟
قال جان:
- أحبها منذ أربع وعشرين سنة، عندما كانت لورين في الثانية من عمرها وأنا في الثانية عشرة..
قالت بريل:
- ألو. نانسي! لديّ اخبار سعيدة. جان ولورين سيتزوجان!

روايات عبير

روائع الأدب الرومانسي

أرجوحة المصير	لو لم تسافر
الراية البيضاء	لقاء واحد يكفى
العذاب إذا ابتسم	مصارع الثيران
الرجل الفراشة	مازلنا غرباء
أنشودة البحيرة	نصف الحقيقة
النصف الآخر	منارة فى الأنواء
دورها فى اللعبة	وحدهما فقط
حورية التلال	أطياف بلا وجوه
سيدة نفسها	البحث عن وهم
دون أن تدرى	الوادى السرى
ضحية	بحر العتاب
صخرة الأمنيات	بين الحلم والواقع
عقد الأصداف	عروس إبليس
عد فقيراً مثلى	فصول النار
لا تعتذرى أبداً	قيد الوفاء
قبل أن ترحل	لا أحد سواك